كتاب

التحف والانوار

منتخب من البلاغات والاشعار

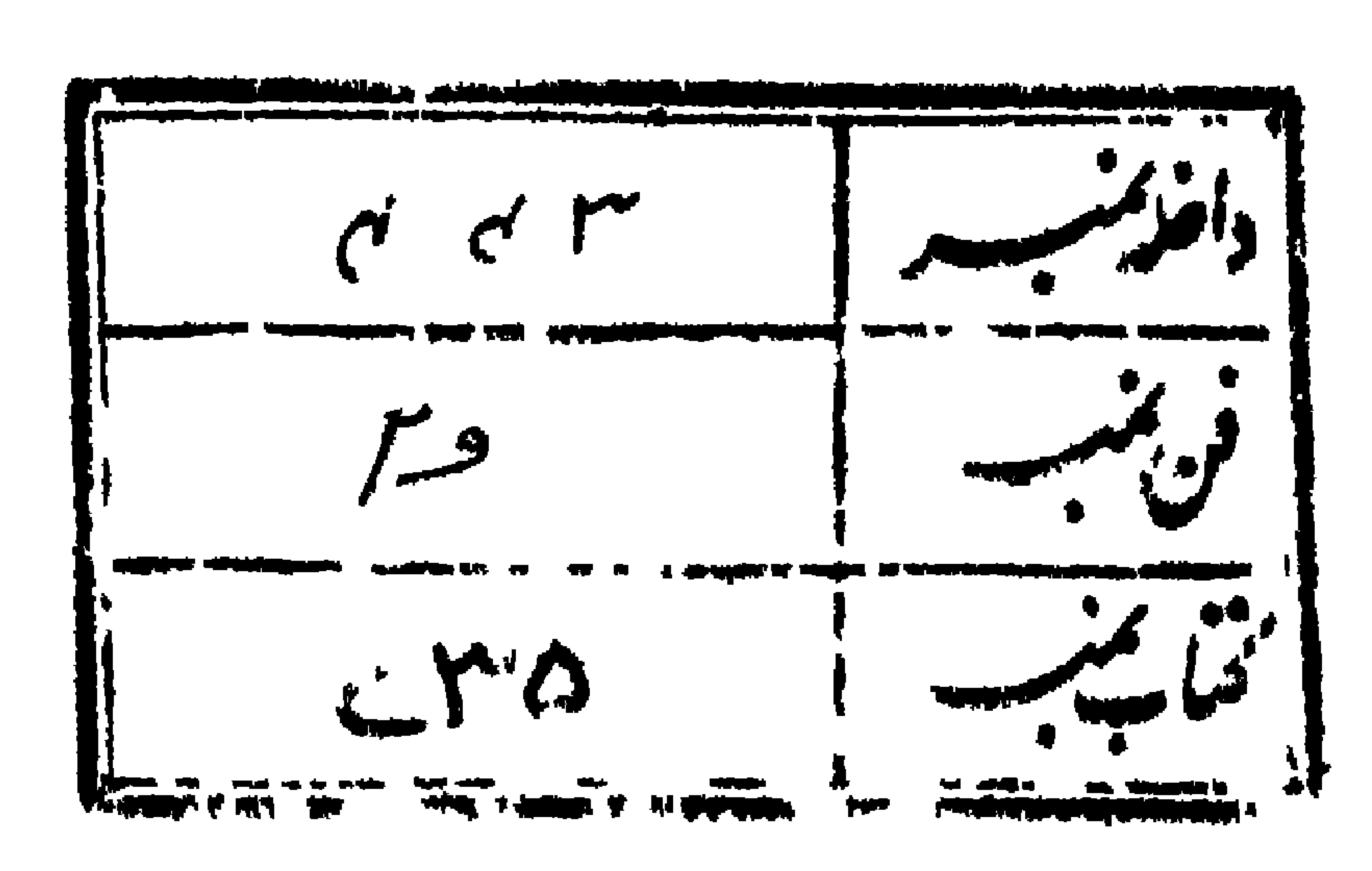
وهو من كتب صاحب السعادة الفاضل

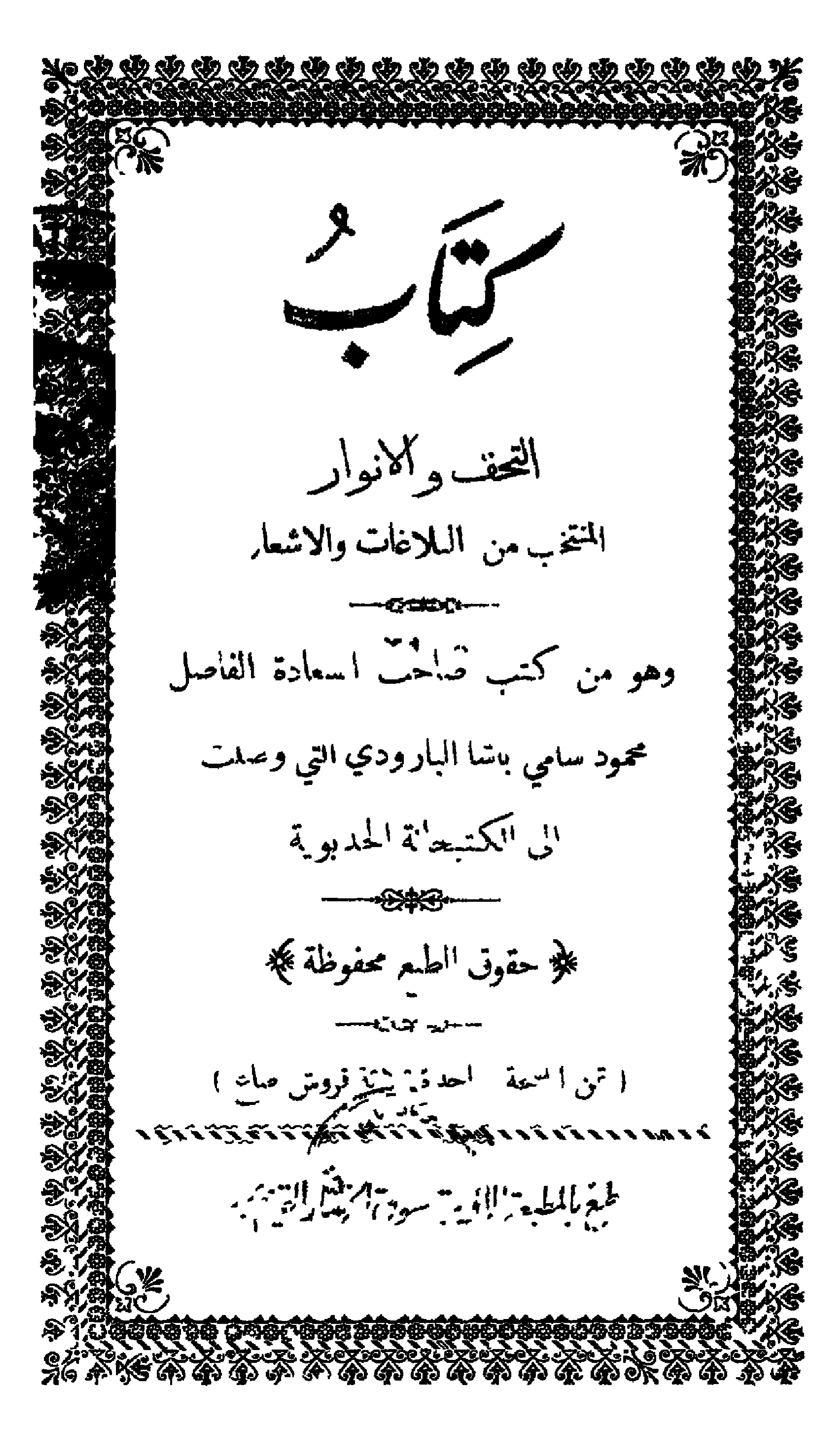
محمود سامي باشا البارودي التي وصلت

الى الكتبخانة الخديوية

(النسخة الواحدة [illegible] صاغ)

طبع بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر





كتاب

التحف والانوار

المنتخب من اللاغات والاشعار

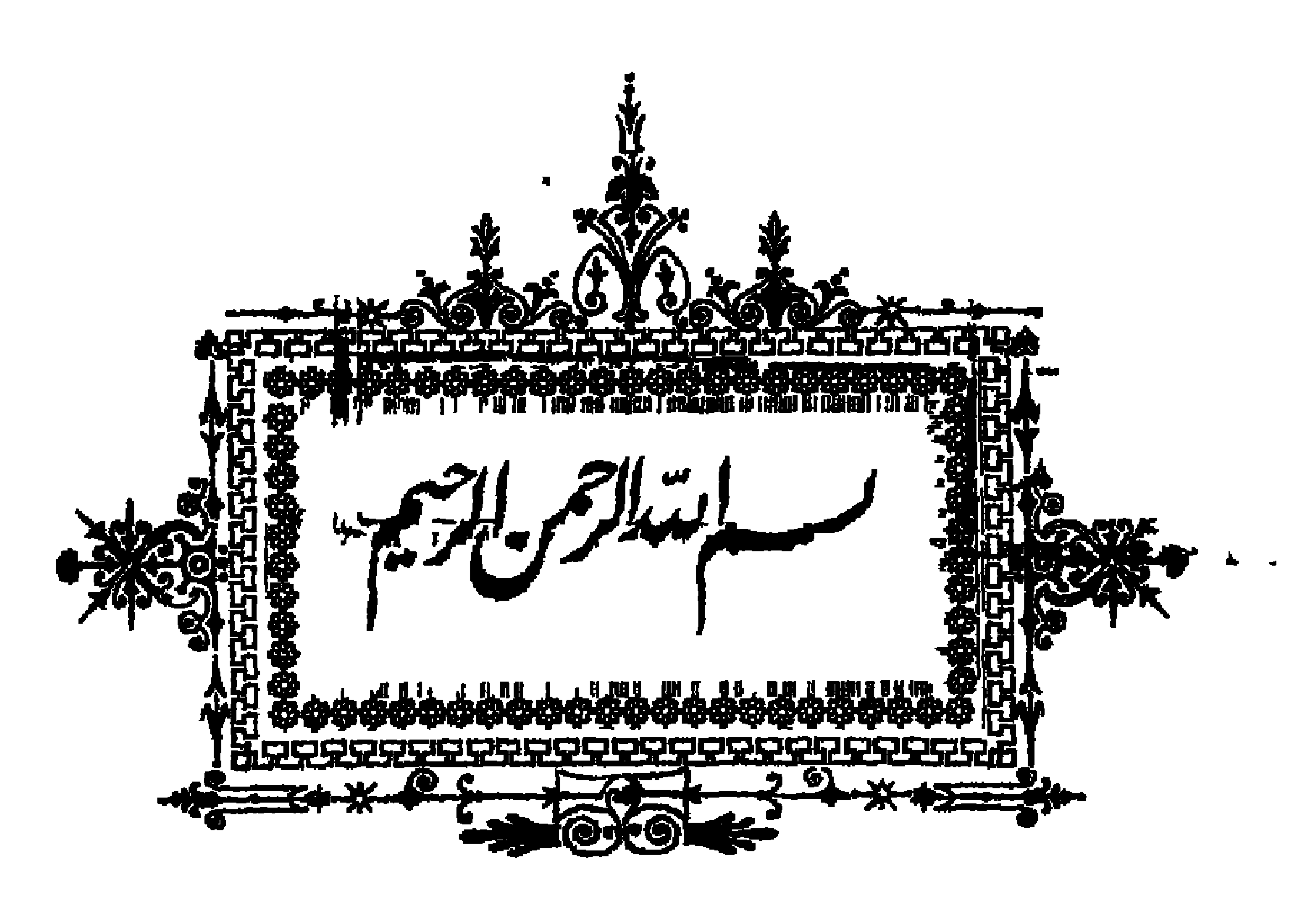
وهو من كتب صاحب السعادة الفاضل

محمود سامي باشا البارودي التي وصلت

الى الكتبخانة الخديوية

(ثمن النسخة الواحدة [illegible] قروش صاغ)

طبع بالمطبعة [illegible] سنة [illegible]



أطال الله بقاك في أهنأ عيشة وأرغدها وأتم نعمة وأسعدها وأعم
عافية وأزيدها وأولاك من الآلاء بأمدها مزيد ومن السلامة
بأسبابها سترا ومن السرور بأوفره حظا ومن العز بأشده ركنا ومن
العمر بأبعده مدى وأحمده عاقبة وتولاك بحفظه وحياطته
وحرسك تحت جناح السلامة بكلاءته ورعايته ان الله ولي الحمد (
قد خصك بالعز المنيع والشرف الرفيع والخلق السني والأمر البهي
والرأي والحزم والبلاغة والفهم والبراعة والكمال والعدل والنوال
والجود والإفضال والحمد والثناء والكرم والوفاء والمذهب الجميل
والقدر الجليل فأنت أدام الله كرامتك وأكرم حياطتك وتسديدك
معدن الفضائل وزين المحافل غياث اللاجي اليك وسند المعول
عليك لا يجحد فضلك ولا ينسى ذكرك ولا تمل مناقبك ولا
تستقل مطالبك عرفك شائع وجودك واسع ومعروفك ذائع وفضلك

شامل ولبك كامل سلم لاوليائك وحرب لاعدائك ومأمل لمؤمليك وسند لمعتفيك سحائب كفيك تمطر ديم الانعام وشآبيب يديك تفوق افعال الكرام قد فقت الاكفاء من السادات وذوي الاخطار من اهل المروآت فزادك الله ايها السيد عقلاً الى عقلك ونخراً الى نخرك وفضلاً الى فضلك وطولاً الى طولك وسؤدداً الى سؤددك وحباك بالزلفة والكرامة وتوجك باوفر الحظوظ من السلامة وبلغك غاية امانيك وجعلك العالي على مناويك ولا أعدمك حالاً يسرك وحسوداً لا يضرك انه لطيف كريم (ولما رأيتك) ادام الله علوك وتأييدك واجزل من كل خير حظك وقسمك تغني عن الوسائل اليك بكريم أخلاقك وشريف أعراقك (جعلت) كرمك ذريعتي اليك المادلني من فضلك عليك وكفى به عن اللبيب شاهداً والى الكريم قائداً وقد قال بعض الشعراء في ذلك

ولا ذنب للعود القماري انما   يحرق ان نمت عليه روائحه

فاطمعني فيك أيدك الله ما رأيت من جودك وسماحتك وحسن بشرك وطلاقتك وقد قال الشاعر

رأينا الجود منك وما عرضنا   لسجل بعد منك ولا ذنوب
ولكن دارة القمر إستدارت   فدلتنا على مطر قريب

ولئن أملتك أيدك الله عند الشدائد ودفعت بك صولة النوائب ورجوتك لكشف الملمات والحوادث الطارقات واستمطرت سحائب

نداك واستغثت بسيبك « ١ » وجدواك على غير شافع أطمع في شفاعته اليك أو متوسل في لديك فاني أقول كما قال الشاعر

من غير ما سبب يدني كفى سبباً   للحر ان يجتدي حرّاً بلا سبب

ولما كانت الوسيلة ادام الله عزك وأعلى ذكرك وشرف قدرك الى السادات وأهل الاخطار والمروآت أنما هي وكيد حرمة او قديم خدمة أو حق واجب أو سبب لازب وكنت صفرا من ذلك كله غير داخل في جملة أهله توسلت بالآداب الجليلة والعلوم النبيلة إذ كان المتوسل بها على ثقة ممن عرف قدرها لأن الاداب عند ذوي الكرم أعطف من صلة الرحم وهو سبب بين الكرام موصول ينزعون اليه وحق يتعاطفون عليه وفيه قال الاول

ادب بيننا تولد منه   نسب والاديب صنو الادب

﴿وقال اخر﴾

حق الاديب وان لم يدنه نسب   فرض على كل من يعنى له أدب

﴿وقال اخر﴾

بلا قرب اليك ولا زمام   سوى حق الاديب على الاديب

﴿وقال اخر﴾

جئت بلا حرمة ولا سبب   اليك الا بحرمة لادب

فارع ذمامي فانني رجل   غير ملح عليك في الطلب

وقد ضمنت كتابي هذا من العلوم أشرفها ومن الآداب أظرفها ومن الفوائد أفضلها ومن الاشعار أجلها وهو كتاب يشتمل على أشياء من بلاغة البلغاء وفصاحة الفصحاء ومحاورة الخلفاء ومخاطبة

الامراء وتوقيعات الوزراء ورصانة عقول الكتاب وبراعة ذوي الآداب وجعلته جامعاً لفنون ذوي الالباب لينتفع به مقتنيه ويستغني عن غيره الراغب فيه اذ كان أحسن من الزهر والرياض والحدائق والغياض والزبرجد والمرجان والدر والعقيان والاكاليل والتيجان والنزه والبستان لا يرهق الناظر فيه حصراً ولا يكلفه اصراً ان دعي اسرع وان تحدث امتع وان سئل اجاب وان حكم اصاب وان استنطق نطق وان استرفق رفق جليس لصاحبه في الحضر وأنيس له في السفر نديم ظريف وسمير حصيف وعون على طوارق الهموم ومسلي لكرب الغموم رائد في الطرب والقصف وداع الى اللهو والعزف ولم آت ايداك الله ببدعة أغربت فيها عليك بل جعلته سبباً أمتُّ به اليك لتقدمك اعزك الله في الآداب وعلمك لهذه الشؤون والاسباب وكمال براعتك وجودة لبك وفطنتك فأنت كما قال اوس بن حجر

الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وكقول الآخر

فتى ألمعي عينه درج قلبه له رائد من رأيه ونذير

وكقول الآخر

يلمح الامر من بعيد فيقضي فيه بالحق قبل حين الورود

وكقول الآخر

ألمعي يرى باول رأي آخر الامر من وراء المغيب

لوزعي له لسان زكي ما له في زكائه من ضريب
لا يروّى ولا يقلب كفا وأكف الرجال في تقليب

وكقول الآخر

بصير باعقاب الامور كأنما يرى بصواب الرأي ماهو واقع

وكقول الآخر

قليل التشكي للملمات حافظ من اليوم اعقاب الاحاديث في غد

وكقول الآخر

بصير باعقاب الامور كأنما تخاطبه في كل امر عواقبه

ولست آتي في هذا الكتاب بخبر مملول ولا شعر معلول ولا كلمة مكروهة ولا نادرة مزورة ولا حديث غير مسموع ولا شاهد مصنوع بل اقصد فيه الى الصلاح في وصفه وشرحه وتبيينه الى الحق وأمثاله والصدق واشكاله واختصره من الاكثار واجنبه قبح الاهذار ليخف على قاريه مجمله ويسهل عند الراغب فيه تحمله وترجمته بكتاب (التحف والانوار المنتخب من البلاغات والاشعار) لما شحنته من الفوائد الغريبة والنتف العجيبة فاذا وصل اليك اسبغ الله نعمه عليك واقر بدوام السلامة عينيك وتأملته وقرأته وفهمته تبين عند حسن الاختبار اني قد بالغت في حسن الاختيار واجزلت التحفة وانتقيت الطرفة وبالله نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول

في ذكر البلاغات ووصف ذوي الفصاحات

قال ابو القاسم يقال (جنبك الله الردى واعانك على اتباع الهدى) انه لا شيء احسن من البلاغة ولا احسن من الفصاحة بهما يطول الادباء وعليهما تتثابر العقلاء وفيهما يرغب ذوو النهى واليهما يسرع ذوو الحجى لانهما يزيدان في نباهة السري ويرفعان من قدر الزري ويشرفان الحسب الخسيس ويرئسان غير الرئيس وهما احسن لباس الرجال وافضل حلل الملوك وقد روى ان مسلمة ابن عبد الملك كان يقول مروءتان ظاهرتان الرئاسة والفصاحة وقال بعضهم ما رأيت على امرأة لباساً احسن من شحم ولا على رجل احسن من فصاحة وقال بعض العلماء المروءُ مخبوء تحت لسانه وقالت الفلاسفة اللسان خادم القلب فاذا أملي عليه شيئاً أبانه وقال يحيى بن خالد البرمكي ما رأيت رجلاً الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحاً عظم في عيني وصدري وان قصر سقط من عيني وكان يقال ليست البلاغة بكثرة الكلام ولكنها باصابة المعنى وحسن الايجاز وقيل لاعرابي من ابلغ الناس فقال اسهلهم لفظاً واحسنهم بديهة وروي ابن الاعرابي عن ابن كناسة قال بلغني ان الحجاج قال لابن القبعثري ما أوجز الكلام قال ايها الامير ان تسرع فلا تبطي

وان تصيب فلا تخطي ثم قال اقلني ان رأيت قال قد أقلتك قال انما سألني الامير عن اوجز الكلام واوجزه ان لا تخطيء ولا تبطيء ٠ ووقف اعرابي على ربيعة الراوي وقد تكلم فاكثر فظن ان وقوفه لاعجابه بكلامه فقال يا اعرابي ما البلاغة فيكم قال الايجاز في الصواب قال فما العي قال ما انت فيه منذ اليوم وسئل رجل عن البلاغة ما هي قال لمحة دالة وقيل للعتابي ما البلاغة قال سديد الكلام بمعانيه اذا قصر وحسن التأليف اذا طال وقال ابن الاعرابي قيل لرجل ما البلاغة قال التقرب من المعنى البعيد ودلالة قليل على كثير وقيل لآخر ما البلاغة قال قرع الحجة ودنو الحاجة وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي ما البلاغة قال الايجاز في غير عجز ٠ ووقع جعفر بن يحيى في رقعة رجل يتنصل اليه من ذنب تقدمت لك طاعة وظهرت منك نصيحة وكانت بينهما هفوة ولن تغلب سيئة حسنتين ووقع الى بعض العمال بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد ووقع في كتاب بعض القواد وكان قد استبطأه في حاجة له كانت اليه انما حبس امير المؤمنين عن حاجتك اهل طاعته وذوو النصائح دونك فلو فرغ منهم اليك لم يؤثر من دونك عليك ووقع الى بعض العمال وقد شكا قوم سوء سيرته ما استغزر الخراج بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور ووقع ابو جعفر الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها و ينظم منثورها و كتب اليه رجل

يصف ماهو عليه من طاعته فوقع في كتابه ان صدقت فيما تخفي فستسعد بما تبدي وقال ثمامة بن اشرس قلت لجعفر بن يحيى ما البلاغة قال ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ويخرج من الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة حتى يكون سليما من التكلف بعيداً من التصنع بريئا عن التقعر غنياً عن التأويل ووقع جعفر بن يحيى الى انس بن ابي شيخ باي لسان اصفك وانا لا ارى الصواب صواباً الا في مرافقتك وقال الفضل بن يحيى لابنه وقد عزم على بناء دار له كيف ابني داري قال دارك قميصك فان شئت فوسعه وان شئت فضيقه وقيل ليحيى بن خالد اي الاشياء اقل قال قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون وصديق قليل الآفات قليل الامتناع وسكون النفس الى موضع المدح وقال يحيى الناس يكتبون احسن مايسمعون ويتحدثون باحسن مايسمعون ويحفظون احسن مايكتبون وقال احمد ابن يزيد بن اسيد كنت عند الفضل بن يحيى البرمكي فورد عليه وصيف من عند ابيه برقعة مثبتة الطرفين فيها (حفظك الله تعالى يابني وعافاك)هذا ابان بن عثمان فبما يجب له من انحطاطه في سمعتنا وانخراط سلكه في جملتنا وقد اعقلناك امله وجعلنا اليك رتبة ذمامه فتول من امره ما يشبهك ويشبهنا والسلام فامر له بمائة الف درهم وكتب يحيى بن خالد من الحبس الى الرشيد ان كان الذنب لي خاصة فلا تعمن بالعقوبة فان لي سلامة البري ومودة الولي فوقع

على ظهر كتابه قضى الامر الذي فيه تستفتيان وقال يحيي بن خالد التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ذلك استخفاف بالمودة وقال يحيى انا مخير في الاحسان الى من احسن اليه ومرتهن بالاحسان الى من احسنت اليه لاني ان زينته فقد اتممته وان قطعته فقد اهدرته وان اهدرته فقد نفلته وقال يحيى الحاسد عدو مبين لا يدرك وتره ولا ينال وتره الا بالتمني وقال الفضل بن يحيي لابيه ما انا نسدي الى الناس المعروف فلا يتبين منهم عند انصرافهم بور غيرنا فقال آمال الناس فينا اعظم من آمالهم في غيرنا وانما يسر الانسان ما بلغه امله وقال يحيى بن خالد العذر الصادق مع النية الحسنة يقومان مقام النجح وكان يحيى يقول من ولي ولاية فتاه فيها فعذره دونها وكان يقول المواعيد شبكة من شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وقال احمد بن طاهر الحرشي وردت على يحيى بن خالد فبينا انا في موكبه اذ صار الى الجيش فلما رايت ذلك اغتنمت خلوته فدنوت منه وكلمته فقال افي هذا الموضع تسأل الحوائج فقلت قد اخطات واستحييت بما فعلت فلما راى ذلك قال كالمتذمم انه ما سقط غبار موكبي على احد الا وجب علي حقه ثم كلم الرشيد في ثلاثين حاجة لي ولاهل بيتي فقضاها كلها وقال يحيى الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة وقدمها التسوية وجوارحها معرفة الفصول وقال بعضهم سمعت يحيى بن خالد وعبد الملك بن صالح يتعاتبان فقال

يحيى لعبد الملك انت حقود فقال عبد الملك ان كان الحقد/عندك بقا الخير والشر انهما عندي لثابتان فلما تراضيا قام عبد الملك فقال يحيى هذا جبل قريش وما رايت احدا احتج للحقد حتى حسن وذهبت سماجته غيره واهدى رجل ليحيى كتاباً من كتب الادب فوصله بعشرة الاف درهم فقال له رجل أ تصل على مثل هذا الكتاب بهذا المال فقال أ تقول هذا لمن هذا ثمرة فؤاده وقيل ليحيى ما الكرم فقال ملك في زي مسكين قيل فما الفرعنة قال سكيت في بطش عفريت قيل فما الجود قال عفو بعد قدرة وقيل لبعض الحكماء ما البلاغة قال اقلال في إيجاز وصواب مع سرعة جواب وقيل لليوناني ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقيل لبعض الادباء من ابلغ الناس قال من ترك الفضول واقتصر على الايجاز ووقع جعفر بن يحيى الى عمرو بن مسعدة اذا كان الاكثار ابلغ كان الايجاز تقصيرا واذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيا

وقال اسماعيل بن طريح الثقفي كان ابي يقول عقول الرجال في اطراف اقلامها وقال عبد الله بن الاهتم انا لا اعجب من رجل تكلم بين قوم فاخطأ وقصر في خطبته لان ذا الحلم قد تناله الخجلة وتدركه الحصرة وتعزب عنه الكلمة ولكن العجب لمن اخذ دواة وقرطاساً وخلى بعقله كيف يعزب عنه باب من ابواب الكلام ويذهب عنه وجه من وجوه طلباته وكان يقول ثلاثة تدل على عقول اصحابها الهدية

على المهدي والرسول على المرسل والكتاب على الكاتب ويقال رسول الرجل مكان رأيه وكتابه مكان عقله وقال ابن المبارك ما قرأت كتاب رجل قط الا عرفت مقدار عقله فيه وقال احمد بن يوسف الكاتب دخلت على المأمون وفي يده كتاب لعمرو بن مسعدة وهو يصعد في صحن داره ويقرأه ويقوم مرة ويقعد اخرى ففعل ذلك مرارًا ثم التفت الي فقال احسبك مفكرًا فيما رأيت فقلت نعم وقى الله امير المؤمنين المكاره قال ليس بمكروه ولكني قرأت كلامًا نظير خبر خبرني الرشيد سمعته يقول البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام ودلالة القليل على الكثير فلم اوهم ان الكلام يرد على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب والله لاقضين حق هذا الكتاب وكان الكتاب استعطافًا على الجند وهو بسم الله الرحمن الرحيم كتابي الى امير المؤمنين ومن قبلي من اجناده وقواده في الطاعة والانقياد على احسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم واختلت احوالهم فأمر لهم باعطاء ثمانية اشهر ووقع جعفر بن يحيى الى كتابه ان استطعتم ان يكون كلامكم كله كالتوقيع فافعلوا قال وامر هارون جعفرًا ان يعزل اخاه الفضل عن الخاتم ويكتب اليه عزلاً لطيفًا فكتب اليه قد رأى امير المؤمنين ان ينقل خاتمه من يمينك الى يسارك فكتب اليه الفضل ما انتقلت عني نعمة صارت اليك ولا خصتك دوني وولي يحيى ابنه الفضل خراسان فبلغه عنه

اقباله على القصف واهماله للرعية وتركه تفقد اعماله فكتب اليه بلغني عنك اهمال الرعية واقبالك على القصف وقد يهفو ذو الحكمة و يزل الحليم ثم يرجع الى ما هو اولى به حتى كأن اهل دهره لم يعرفوه الا بذاك وقد كتبت اليك بابيات ان انت لم تمتثلها هجرتك حولاً وعزلتك عن سخط وهي هذه

انصب نهارًا في طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليـل اتى مقبلاً ... واستترت فيه عيون الرقيب
فبادر الليـل بما تشتهي ... فانما الليل نهار الاديب
فكم من فتى تحسبه ساكنًا ... يستقبل الليل بامر عجيب
غطى عليه الليـل باثوابه ... فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب

قال فآلى يمينًا ان لا يشرب الخمر نهارًا وقال هارون بن المأمون لأبيه يا امير المؤمنين ما حد العلم قال الحياة وقد اوتى المأمون برجل قد وجب عليه الحد وهو يضرب فقال قتلتني قال الحق قتلك قال فارحمني قال لست ارحم بك ممن اوجب الحد عليك وسأل المأمون برذاشخت عن مسألة فلم يفهم فاستعاده فقال رجل كان حاضرًا مجلس المأمون مثل هـذا في جلالته وادبه وبلاغته لا يحضر من فهمه ما يستغنى به عن الاستفهام فقال برذاشخت يا امير المؤمنين أقبيح ان استفهم قال لا ولكن قبيح بك ان تستبهم وسال المأمون عبد الله بن طاهر عن شيء فاسرع الى ذلك

فقال المأمون ان الله عز وجل قد قطع رزق العجول بما مكنه من التثبيت فاوجب الحجة على الخلق بما نصر من فضل الاناة فقال لي أ تاذن لي ان اكتبه فقال نعم فكتبه وقال ابراهيم بن المهدي يوماً قال المأمون انت الخليفة الاسود قلت يا امير المؤمنين انك الذي مننت عليّ بالعفو وقد قال في ذلك عبد بني الحسحاس بيتين من الشعر

اشعار عبد بني الحسحاس قمن له　　عند الفخار مقام الاصل والورق
ان كنت عبداً فنفسي حرة ابداً　　او اسود الخلق اني ابيض الخلق

فقال المأمون ياعم اخرجك المزل الى الجد ثم قال

ليس يزري السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاديب الاريب
ان يكن للسواد فيك نصيب　　فبياض الاخلاق منك نصيبي

فقال المأمون استحسن من قول العلماء كلمة وهي قولهم الجود بذل الموجود والجهل سوء الظن بالمعبود وقالت زبيدة ابنت جعفر حين دخلت على المأمون بعد قتل ابنها الامين الحمد لله الذي اذخرك لي لما اثكلتني ولدي فقال المأمون ما اثكلتك ولدا كنت لك عوضاً منه ثم خرجت فاقبل المامون على احمد بن ابي خالد فقال ما ظننت ان النساء جبلن على مثل هذا الصبر قال وقعد المامون يوماً للظالم حتى زالت الشمس فكان اخر من دعا به امرأة فاقبلت حتى وقفت بين يديه فقال المامون ليحيى بن اكثم سلها عن حاجتها فقال لها ما حاجتك فانشأت تقول

ياخير منتصف يهدي له لرشد　　ويا اماما به قد اشرق البلد

يشكو اليك عقيد الملك ارملة   عدا عليها ولم يقوبه اسد
فابتزءني ضياعي بعد منعتها   منه ففرق عنه الاهل والولد

فاجابها المامون

في دون ماقلت عيل الصبر والجلد   فاقرح القلب هذا الحزن والكمد
هذا اوان صلاة الظهر فانصرفي   واحضري الخصم من صبح نهار غد
والمجلس السبت ان يقضي الجلوس لنا   انصفك منه والا المجلس الاحد

فلما كان يوم الاحد جلس ودعا بالمراة فقال لها اين خصمك فاشارت الى ابنه وكان على يمينه فقال لاحمد بن ابي خالد خذ بيده واوقفه معها فجعلت تدعي عليه و يعلو صوتها فقال ابن ابي خالد انت في مجلس امير المؤمنين وتناظرين الامير فقال المأمون يااحمد دعها فان الحق انطلقها والباطل اخرسه وامر ابنه برد ضياعها وامرلها بعشرة آلاف درهم وصرفها وقال المأمون لو علمت الرعية ما لي في لذيذ العفو ما تقربت الي بشيء غير الجنايات وكان يقول احسبني لا أوجر على العفو لاستلذاذي له وكتب المأمون الى عامل له يذكر اصلاحه ما تحت يده لا تستكثرن كثيراً يكون منك واستدم احسن ما انت فيه يدم لك احسن ما عندي وزد فيما انت فيه فانه ان قل شيء لم يزد فيه الا نقصاً والنقصان يمحق الكثير كما ينمى على الزيادة القليل وقال المأمون الحلم يحسن في الملوك الا في ثلاث خصال طامع في ملك ومتعرض لحرمة ومذيع لسر وقال المأمون من لم يكن في العلم بارعاً فبطون الصحف اولى به من صدور الرجال

وقال المأمون لو سئلت الدنيا عن وصف نفسها ما احسنت نصف صفة ابي نواس في هذه الابيات

أرى كل حي هالكاً وابن هالك | وذا نسب في الهالكين عريق
فقل لقريب الدهر انك راحل | الى منزل داني المحل سحيق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت | له عن عدو في ثياب صديق

وقال المأمون لا خير في السرف ولا سرف في الخير وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احياناً وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابداً ودخل العتابي على المأمون فقال يا ابا كلثوم خبرت بوفاتك فغمتني ثم جاءتني وفادتك فسرتني فقال يا امير المؤمنين انه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك فقال سلني عما بدا لك فقال يدك بالعطية اطلق من لساني بالمسألة فاكرمه واحسن جائزته وقال المأمون لابراهيم بن المهدي اني شاورت العباس وابا اسحاق في امرك فاشارا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل اللازم حرمتك فقال يا امير المؤمنين المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تستوجب النصر الامن حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك لان جرمي اعظم من ان انطق فيه بعذر وعفو امير المؤمنين اجل من ان يفي به شكر وقال المأمون مات الحقد عند هذا العذر فاستعبر ابراهيم فقال المأمون ما شأنك

فقال الندم اذ كان ذنبي الى من هذه صفته في الانعام علي ثم قال يا امير المؤمنين انه وان بلغ جرمي استحلال دمي فحلم امير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه وان لي اشفعة الاقرار بالذنب وحق العمومة بعد الاب فلا تسقط عن كرمك عمك ولا يقع دون عفوك عندك فقال المأمون لو لم يكن في نسبك حق الصفح عن ذنبك لبلّغك ما املت حسن تنصلك ولطف توصلك وكتب احمد بن يوسف الى المأمون ان داعي نداك ومنادي جدواك جمعا ببابك الوفود يرجون نائلك البعيد فمنهم من يمتّ بحرمة ومنهم من يدل بخدمة وقد اجحف بهم المقام وطالت عليهم الايام فان رأي امير المؤمنين ان ينعشهم بسيبه ويحقق حسن ظنهم بطوله ان شاء الله تعالى فوقع المأمون الخير متبع وابواب الملوك مواطن لذوي الحاجات فاكتب اسماءهم ليصير الى كل امرئ منهم قدر استحقاقه ولا تكدر معروفنا بالمطل والحجاب فان الأول تقول

دنك لن ترى مطلا لحر كالصاق به طرف الهوان
ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل البذل او لطف اللسان

وقال المأمون يوماً لبعض ولده اياك ان تصغى لاستماع قول السعاة فانه ما سعي رجل الي الا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه ابداً ووقع المأمون على ظهر رقعة ساع سننظر أصدقت أم كنت من

الكاذبين ووقع المأمون ايضاً على ظهر رقعة رجل سعي ببعض عماله قد سمعنا ما يكره الله فانصرف رحمك الله وكان المأمون يقول اذا ذكر عنده السعاة ما ظنك بقوم يمقتهم الله على الصدق وقال بعض اهل العلم سألت اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن اخلاق المأمون فقال كان والله سهل الطريقة والشريعة لين العريكة صبور على الاذى وما دنى منه احد قط الاغلب عليه كائناً ما كان وخاصة ان كان ذا ادب وحياء ووفاء وكان لو اعطى رجلاً كل ما في بيت ما له لم ير انه بلغ ماوجب عليه ولا اعتدى على احد قط ولا لقاه ما يكره ولا كلم صغيراً من بطانته ولا كبيراً الا بما يكلم به اخاه او اباه او وزيره وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كان المأمون قد جفاني حين قدم مدينة السلام ووشي بي اليه فاطرحني و بقيت حينا لا أصل اليه ولاحظ لي في دولته حتى اضربي ذلك ونقصت له حالي عند اخواني قال فجاءني علو ومخارق فقالا انا عنده اليوم فقال قد قلت بيتين من الشعر احببت ان يلجا سمعه وهما

يا سرحة الماء قد سدت موارده	اما اليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا خيام له	محير عن طريق الماء مطرود

فغناه بهما مخارق فقال لمن هذا الشعر قال لعبدك اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال فدعاني ورضي عني واحسن جائزتي قال ودخل المأمون الديوان فنظر الى غلام جميل على اذنه قلم فقال له من انت يا غلام

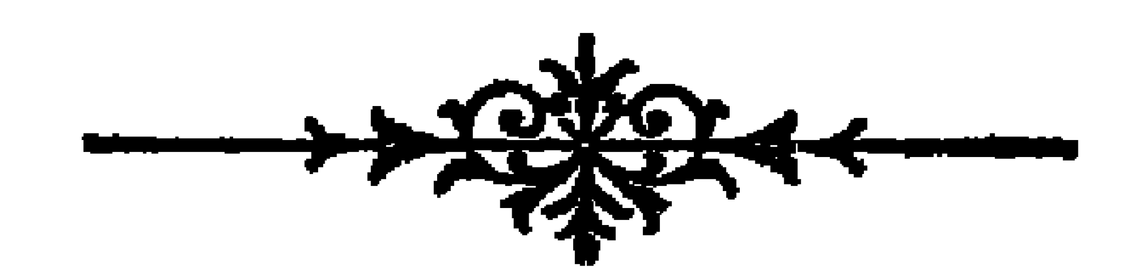
فقال انا الناشيء في دولتك والمتقلب في نعمتك والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول وورد بعض الاعراب على المأمون وهو بمرو فقال يا امير المؤمنين زلت بي النعل فقال للحاجب استوص به خيرا فلم يزل عنده سنة فقال له الحاجب حصلت على الأكل والشرب من غير مرية ولا منالة قال قد قلت بيتاً من الشعر ولست احسن ان اكتبه قال الحاجب انا اكتبه واوصله لك فكتب

شحط حاجتي اليك بجدلي　　يا عقيد الندى لها بخضاب

فارسل اليه المأمون بالف دينار ووقع على ظهر رقعته

قد امرنا لها بخضبة حظر　　تترك الرأس مثل حنك الغراب

قال ونظر المأمون موامرة بخط حسن فقال لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة قال ورأى هارون ابنه ينظر في كتاب من كتب الادب فقال ما كتابك هذا يا بني قال بعض ما يشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة ويفرج العسرة فقال المأمون الحمد لله الذي جعل من نسلي وذريتي من ينظر بعين عقله اكثر مما يرى بعين جسمه واعلم ايدك الله تعالى ان ذكر البلاغات والفصاحات طويل امره كثير عدده وفيما ذكرناه كفاية للاديب ومقنع للاريب



الباب الثاني

في ذكر العقل وفضله وزين المرء ونبله

اعلم اعزك الله انه لا شيء عند ذوي الفضل أحسن من ذكر العقل الذي فضله الله على غيره من الحكم عند سائر العرب والعجم وحض عليه الانبياء والمرسلون وامر به الاتقياء والصالحون في سائر كلامهم ومواعظهم وخطاباتهم واعادوا ذكره في جميع فنونهم وسائر آدابهم وشؤونهم وقد ذكره الله عز وجل في آي القرآن فقال وقوله الحق ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقال تبارك وتعالي هل في ذلك قسم لذي حجر وامر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاعراض عن الجاهلين والتأسي باخلاق ذوي الافضال فقال وهو الصادق في المقال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل وقد روى عن بعض الحكماء انه قال من علامة العاقل ان لا يتكلف ما لا يطيق ولا يسعى فيما لا يدركه ولا ينظر فيما لا يعنيه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد فان الانفاق اذا كثر عن الفائدة كان الحزن ولا يطلب من الحر الا بقدر ما عنده من الغنا ولا يعد الا بما يقدر عليه وقال الشاعر

وافضل قسم الله في المرء عقله ... وليس من الاشياء شيء يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت اخلاقه ومآربه

وقال اخر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا وان لم يكن في قومه بنسيب
وان حل ارضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

وكان يقال للعاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء وقال الشاعر

الحمد لله من امسي وليس له عقل يعيش به في الناس قد شقيا

وكان يقال صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهلاء وقال الشاعر

ليس يذرى بصاحب العقل فقر لا ولا ينفع الجهول الثراء

وقال محمد بن حازم

لا تراني ابداً اكرم ذا المال لماله
لا ولا اذرى بمن يعقل عند سوء حاله
انما اقضي على ذا لك وهذا بفعاله

وقال آخر

اذا جمع الافات فالبخل شرها وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في عقل اذا لم يكن غني ولا خير في مال اذا لم يكن عقل
فان تك ذا مال ولم تك عاقلا فانت كذى نعل وليس له رجل
وان تك ذا عقل ولم تك ذا غني فانت كذى رجل وليس له نعل
فان كان للانسان عقل ففعله هو النصل والانسان من بعده فصل

وقال آخر

يمثل ذو الحزم في نفسه مصائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه لما كان في نفسه مثلا

وأى الهم يفضي الى اخر　　فصير اخره او لا
وذو الجهل يأمن أيامه　　وبئس مصارع من قد خلا
ولو قدم الحزم في نفسه　　لعلمه الصبر عند البلا

وقال اخر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه　　وان كان ذا نبل على الناس هين
وان كان ذا عقل أجل لعقله　　وافضل عقل عقل من يتدين

وقال اخر

الم تر ان العقل زين لاهله　　وان تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

لا خير في قول بلا فعل　　ومنظر حلو بلا عقل
وفي غنى يدعو الى فتنة　　ونعمة صينت عن البذل
وفي صديق لك صافيته　　فلم تفد له عن الاهل

وكان يقال ايدك الله ان الادب لاينفع الا بالعقل والعقل لاينفع الا بالادب وما قرب شيء الى شيء احسن من ادب الى ارب ومن عقل الى فضل وقال الشاعر

لكل شيء حسن زينة　　وزينة العاقل حسن الادب
قد يشرف المرء بادابه　　يوماً وان كان وضيع الحسب

وقال اخر

وما ادب الانسان شيء كعقله　　وما عقله الا بحسن التأدب

وانا اعزك الله اذلك باباً في الادب يغني يسيره عن معظمه ان شاء الله تعالى

الباب الثالث

(فيما جاء في الادب وما يجب على الانسان فيه من الطلب)

قال ابو القاسم قرأت في حكمة سابور الملك يحتاج ادب الرجل ان يكون على قدر عقله فانه ان تجاوزه اورثه العجب فزال بالاشياء عن مواضعها وكان مايقيه هو سبب هلاكه وان كان عقله اكثر من ادبه يفزع العقل بقدر تادبه تفزيعاً يبلغ بصاحبه التمام ومن لم يكن بذي عقل ولا ادب كان خارجاً من حكم البيان ولماقتل بزرجمهر وجد في خزانته رقعة فيها مكتوب افضل ما اوتيه المرء عقل يعيش به فان حرم ذلك فادب يؤديه الى نيل هذا فان حرم ذلك فمال يعطي عواراته فان حرم ذلك فجائحة تأتي عليه لاتبقي له نسلا وقال وستاسف من كان غذاؤه الادب كانت ثمرته الحكمة فاغذوا اولادكم بالادب تغنوهم به وكان يقال ما اوتيت الملوك ابناءها شيئاً هو انفع لها من الادب وقال اخر من كثر ادبه زاد شرفه وان كان خسيسا وعظمت الحاجة اليه وان كان قليلاً وساد وان كان وضيعا وقال الشاعر

تادب نسد او تحظ في الناس　　　انما يفوز باسنى الحظ اهل التادب

وقال سابق البربري

ليس الفتى كل الفتى　　　الا الفتى في ادبه
وبعض اخلاق الفتى　　　اولى به من نسبه

كما جناحا طائر اولى به من ذنبه

وقال بعض بني عامر

خير ما ورث الرجال بنيهم ادب صالح وطيب ثناء
هو خير من الدنانير والاو راق في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والعلم والادب الـ صالح لا يفنيان حتى اللقاء
ان تادبت يا بني صغيرا صرت يوما تعد في النبلاء
واذا ما اضعت نفسك الفيـ ت صغيرا في زمرة الغوغاء
ليس عطف القضيب ان كان غضاً واذا كان يابسا بسواء

وقد قيل الادب في الصغر كالنقش في الحجر وتاديب الكبير كالكتابة على الماء وقال الشاعر

قد ينفع الادب الاحداث في مهل وليس ينفع بعد الكبرة الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ولا تلين اذا قومتها الخشب

وقال آخر

ادب الكبير من التعب كبر الكبير عن الادب
حتى متى والى متى لا تستفيق من اللعب

وقال آخر

ذا القرشي لم يشبه قريشاً بفعلهم الذي بزّ الفعالا
فعكلي له أدب ودين لدى العقلاء احسن منه حالا

وقيل لبعض الحكماء متى يكون الادب اضر قال اذا كان العقل انقص وقال بزرجمهر مثل العاقل بلا ادب مثل الارض الطيبة الخراب وقال الشاعر

وخير ما يجمع الفتى ادب يزينه حين يعرض الخطب

لايعرف الله حق معرفــة من لم يكن عاقلاً له ادب

وقال محمد بن حازم

قد كنت توجب لي حقي وتعرف لي قدري وتحفظ مني حرمة الادب
ثم انثنيت الى الاخرى فاحتشمني ما كان منك بلا جرم ولا سبب

وقد يجب على العاقل اعزك الله تعالى التباين بصفته من الجاهل ان ياخذ نفسه بالادب وطلبه وان يشمر في طلب العلم ثوبه و يقرع لبغيته قلبه فما اجتمع العقل والعلم في موضع الا رفعاه ولا فارقا ذا شرف الا وضعاه وانا اعزك الله تعالي اذكره لك باستعمال الاختصار وتجنب الاهذار والاكثار ان شاء الله تعالى

الباب الرابع

(ما جاء في فضيلة العلم وما فيه من اصابة الرأي والحزم)

قال ابو القاسم تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة تحشمتم وقيل لا زد شير بن بابك اي الكنوز اجل قال العلم الذي خفّ محمله وهو في الملاء جمال وفي الوحدة انس يرؤس به حامله و ينبل به الراغب فيه والمال محمله ثقيل والهم به طويل ان كان صاحبه في ملا شغله فكره فيه وان كان وحيد ارّقته حراسته و كان بعض الحكماء يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال الشاعر

ومن رزئ علم كل شيء فهو خيال من الرسوم

قيمة كل امرئ تراه ما يقتنيه من العلوم

ومثله قولُ الاخر

تعلم فان العلمَ يكسبُ اهله جمالا وان العلم بالحرّ ازين
ولا تحقرَن علماً فقيمة كل منْ تراه لعَمْرِى قدرَ ما هو يحسن

وقال الاصمعي رآني اعرابي وانا اطلب العلم فقال لي يا اخا الحضر عليك بلزوم العلم فان العلم زين للمجلس وَصِلة بين الاخوان وفصاحة للسان وصاحبٌ في الغربة ودليل على المروّة ثم انشأ يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل

وقال اخر

ان كنت يوماً طالبًا بغية فليكن العلم الذي تطلب
ما خاب سعيٌ لامرئ عالم ولا امرئ في جمعه يرغب

وقال اخر

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سوادَ الظلمة القمر
فليس ذو العلم بالتقوى كجاهله ولا البصير كاعمى ما له بصر

وقال الاصمعي رآني اعرابي وانا اكتب كل ما اسمع فقال لي ما انت الا الحفظة تكتب لفظ اللفظة وعنه ايضاً قال رآني اعرابي وانا اكتب كل ما اسمع فقال لي انت حتف الكلمة الشاذة

وقال الشاعر

يا طالب العلم نعم الشيء تجمعه لا تعدلنّ به دراًّ ولا ذهبا
العلم كنز وذخر لا نفادله نعم القرين اذا ما عاقلاً صحبا
وجامع العلم مغبوط به ابدا ولا يحاذر فيه الفوت والسلبا

وقال الآخر

يا جامع العلم لا يعجبك كثرته ان القليل اذا جمعته نفعا

وقال اخر

لا ينفع العلم قلباً قاسياً ابدا ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر

وقال اخر

العلم فيه مهابة وجلالة والعلم انفع من كنوز الجوهر
والعلم من يعرف به في مجلس يكرم و يعظم عندهم و يوقر
تفني الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات الاعصر

وقال اخر

تعلم اذا ما كنت ليس بعالم فما العلم الا بالعنا والتعلم
تعلم فان العلم ازين بالفتى من الحلة الحسناء عند التكلم
ولا خير فيمن راح ليس بعالم بصير بما يأتي ولا متعلم

وقال بعض الحكماء كن عالماً او متعلماً او مجيباً او مستمعاً ولا تكن الخامس فتهلك ويقال من عاش متعلماً مات عالماً وقد قيل العالم والمتعلم شريكان والباقي همج واعلم ايدك الله ان من احسن ما يؤثر عن العلم ان ينسب الى الحلم ومن ذلك قول بعض الحكماء ما قرب شيء الى شيء احسن من ادب الى ارب ومن علم الى حلم وقال العتابيُّ

ما ضيف من شيء الى آخرٍ احسن من علم الى حلم
ولم يغب ذو ادب صالح عن حظه من صالح القسم

وانا اشرح لك من ذلك ما يستغنى بقليله عن كثيره ان شاء الله تعالى

الباب الخامس

﴿ في الحلم وميل اهل الكرامة اليه وتثابر اهل العقل عليه ﴾

قال ابو القاسم روى عن بعض الحكماء انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد الا في العسرة ولا الشجاع الا في الحرب ولا الحليم الا عند الغضب وقال سابق البربري ماحلم عبد في الرضى كحلمه في غضبه وقيل للاحنف بن قيس ما نظنك يصيبك ما يصيبُ الناس قال بلى ولكنني أُصبر ولا يصبرون وكان بعض العلماء مولعاً بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضى   انما الاحلام في حال الغضب

وقال الاحنف بن قيس انكم ترون الحلم ذلا والله لربَّ غيظ تجرعته مخافة ما هو شر منه ومن لم يصبر على كلمة يسمع كلمات وسب رجل رجلاً فافرط عليه فقال المحتمل له

اني ارى الحلم مغبوطاً معيباً   والجهل اردى من الاقوام اقواما

وقال سابق البربري

الم تران الحلم زينٌ مسوّد   اصاحبه والجهل للمرء شاين
وكن دافناً للجهل بالحلم تسترح   من الجهل ان الحلم للجهل دافن

وقال آخر

الا ان حلم المرء اكرم نسبة   تسمى بها عند الفخار حليم
فيارب هب لي منك حلماً فانني   ارى الحلم لم يندم عليه كريم

﴿ وقال محمد بن زياد يمدح قوماً بفضل الحلم ﴾

تخالهم في الحلم صما عن الخنا وخرساً عن الفحشاء عند التهاجر

وقال بعض الحكماء ما خلة عندي أحمد من غيظ اتجرعه

وقال الشاعر

وفي الحلم ردع للسفيه عن الاذى وفي الخرق اغراء فلا تك اخرقا
فتندم اذ لاتنفعك ندامة كما ندم المغبون لما تفرقا

وقال آخر

واني لاغضى عن المحفظات واحلم والحلم بي اشبه
وني لأترك جل الكلام لئلا اجاب بما اكره
اذا ما احترزت سفاه السفيه فاني لذلك لأسفه

وقال آخر

اذا كافأت السفيه بما اتى اليك ولم تصفح فانت مشاكله

وقال آخر

اطع الحليم اذا الحليم نهاكا ان الحليم اذا ضللت هداكا
واذا استشارك من تود فقل له اطع الحليم اذا الحليم نهاكا
واعلم بانك لن تسود ولن ترى سبل الرشاد اذا اطعت هواكا

وقال آخر

واحبب اذا احببت حباً مقاربا فانك لن تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت غير مباين فانك لاتدري متى انت راجع

وقال آخر

لن يدرك المجد اقوام وان كرموا حتى يذلوا وان عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة لاصفح ذل ولكن صفح احلام

وقال محمد بن حازم

احب مكارم الاخلاق جهدي ... واكره ان اعيب وان أعابا
واصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوي السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقد كان يقال اعزك الله ان كثرة الحلم ضعف ولا باس ان يكون في الرجل سخف وقال بعض الادبا

ابا حسن ما اقبح الجهل بالفتى ... وللحلم في بعض الاحايين اقبح
اذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فان الجهل اغنى واروح
وفي الحلم ضعف والعفو به قوة ... اذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

وقال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر صدرا

وقال آخر

اذا كنت محتاجا الى الحلم انني ... الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم ... ومن شاء تعويجي فاني معوّج
وما كنت ارضى الجهل خدنا وصاحبا ... ولكنني ارضى به حين احرج

وقال ابراهيم بن المهدي

اذا كنت بين الحلم والجهل ناشئا ... وخيرت انى شئت فالحلم افضل
ولكن اذا انصفت من ليس منصفا ... ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل
اذا جاني من يطلب الجهل عامدا ... فاني ساعطيه الذي جاء يسأل
ولم اعطه اياه الا لانه ... وان كان مكروها من الذل اجمل

ولحسب المرء اعزك الله كمالا ورتبة وجمالا ان يكون له

عقل كامل وادب فاضل وعلم واسع وحلم رادع يضم ذلك جميعاً الحياء وساذكر ادام الله عزك مما جاء في ذلك فصلا يقنع ذوي الحجا واختصره ان شاء الله تعالى

الباب السادس

(في مدح الحياء وما فيه من النباهة والثناء)

قال ابو القاسم يقال ان الحياْ خير كله وقال امية بن الصلت
مدح ابن جدعان ويصفه بالحيا وفي ذلك يقول

أأذكر حاجتي ام قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء

وقالت ليلة الاخيلية تصف ثوبة بن الحمير بالحياء

فتى كان احيا من فتاة حيه واشجع من ليث بخفان خادر

وقال الفضل بن عياش بن عتبة يفخر بقومه ويصفهم بالحياء

انا اناس من تجيتنا صدق الحديث ورأينا حتم
واذا نظرت حسبتنا سقما من الحيا وما بنا سقم

وقال الشماخ بن ضرار

اجامل اقواما حياء وقداري صدورهم تغلي عليّ مراضها

وقال آخر

وربّ قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحياة
اذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب في الامور كما يشاة

وقال آخر

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

وقال ابن حازم

واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلائق اربع
حيا واسلام وتقوي . وانني كريم ومثلي قد يضر وينفع

وقال آخر

اياك ان تزدري الرجال فما يدريك ماذا يجنه الصدف
نفس الكريم الجواد باقية فيه وان كان مسه عجف
الحر حر وان الم به الدهر ففيه الحيا والانف

وقال آخر

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله مافي العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال آخر

اذا حرم المرء الحياء فانه بكل قبيح كان منه جدير
له قحة في كل امر وسره مباح وخدناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحاً والدناءة رفعة وللسمع منه في العظاة نفور
فرح الفتى ما دام يحيا فانه الى خير حالات المنيب يصير

واعلم اعزك الله ان من احسن زهد الزهاد واكمل تجمل تعبد العباد التمسك بالصبر عند البلا والقناعة في اللأواء ولعمري انهما لمن اخلاق ذوي المروآت والشرف والهيئات وسأذكر من ذلك ما يقنع اللبيب ويغني الاريب ان شاء الله تعالى

الباب السابع

(ما قيل في الصبر عند البلاء مما يميل اليه ذوو النهى)

قال المهلب بن ابي صفرة لبنيه يابني ان غُلبتم على الظفر فلا تغلبوا على الصبر وقال الشاعر

اصبر اذا عضك الزمان ومن　　اصبر عند الزمان من رجله

وقال عبيد الابرص

صبِّر النفس عند كل ملم　　ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن في الامور فقديكـ　　ـشف غماؤها بغير احتيال
ربما تجزع النفوس من الامـ　　ـر له فرجة كحل العقال

وقال آخر

مستشعر الصبر مقرون به الفرج　　يبلي فيصبر والاشياء ترتتج
حتى اذا بلغت مكنون غايتها　　جاء تلك تزها في ظلمائها السرج
فاصبر ودم واقرع الباب الذي　　طلعت منه المكاره والمغري به يلج

وقال آخر

ان الامور اذا اشتدت مسالكها　　فالصبر يفتح منها كلما ارتتجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته　　ومدمن القرع للأبواب ان يلجا

وقال آخر

اني وجدت وخير القول اصدقه　　للصبر عاقبةً محمودة الاثر
وقلَّ من جدَّ في امر يحاوله　　فاستشعر الصبر الا فاز بالظفر

وقال عمرو بن كلثوم

اذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه　　تقطع من اسبابه كل مبرم

وقال آخر

لا تيأَسن اذا ما ضقت من فرج　　يأْتي به الله في الروحات والدلج

وان تضايق باب عنك مرتتج فاطلب لنفسك باباً غير مرتتج
فما تجرع كاس الصبر معتصم بالله الا اتاه الله بالفرج

وقال آخر

ما احسن الصبر في مواطنه والصبر في كل مواطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر مالها ثمن

وقال آخر

من شد كفا بصبر عند نائبة الوت يداه بحبل غير مقتضب
ما احسن الصبر في الدنيا واوجهه عند الاله وانجاه من الكرب

وقال آخر

ورب امر مرتج بابه عليه لا تفتح اقفال
ضاقت بذي الحيلة في فتحه حيلته والمرء محتال
ثم تلقته مفاتحه من حيث لا يخطره البال

وقال آخر

من يمتطي الصبر يضع رحله بساحة الراحة واليسر
الصبر يمن وبهاء الفتى صيانة النفس على العسر

واعلم ايدك الله تعالى ان الصبر على اضرب كثيرة وفيه عدة أبواب عزيزة ضمنت كتابي هذا باباً وافردت منه كتاباً واذكر ماقيل في التقلل والقناعة ان شاء الله تعالى

الباب الثامن

(ما قيل في استعمال القناعة وترك الطمع والضراعة)

قال بعض الحكما الحرص مفسدة الدين والمروءة والله ماعرفت

من رجل حرصا وشرها ورأيت ان فيه مصطنعا

وقال انوشروان من قنع كان غنيا وان كان فقيراً مقتراً ومن تجاوز منزلة القناعة فهو فقير وان كان موسرا وقال بزرجمهر صاحب القناعة عزيز في عاجله وعلى ثواب في آجله

وقال الشاعر

المرء بين مقتر وموسع　　معها رزقت فماله من مدفع

وقال ابن حازم

قنعت بيأس واستفدت غني الدهر　　وزودني عزًّا وملكني امري
وفي اليأس من ذل المطامع مقنع　　اذا لم يكن عزم الفتي قلة الصبر

وقال ايضاً

ضرع الى الله لا تضرع الى الناس　　واقنع بيأس فان العز في الياس
الرزق عن قدر يجرى الى اجل　　في ضمن لا غافل عني ولا ناسي

وقال آخر

اني ارى من له قنوع　　يدرك ما نال وما تمنى
والرزق يأتي بلا عناء　　وربما فات من تعنى

وقال آخر

يؤنبني صوني لعرضي عصابة　　لما بين اطناب البيوت بصيص
يقولون لو اعرض لازددت رفعة　　فقلت لهم اني اذًا لحريص
ايثلم عرضي لا ابا لابيكم　　مطامع عنها للكرام محيص
معاش فوبق القوت والعرض وافر　　و بطنك من جدوي اللئام خميص
اعف وازكى من ثراء يمنه　　عليك لئيم للكرام نقوص

وقال محمد بن حازم

يا اسير الطمع الكا ذب في غل الهوان
ان عز اليأس خير لك من ذل الاماني
سامح النفس اذا عز وخذ صفو الزمان
ربما اعدم ذو الحر ص واثرى ذو التواني
لك ماعشت غذى يأ تيك من اوفى الضمان

وقال ابو العتاهية

اصبحت عمن بها غنياً بخالقي في جميع شاني
اذا جعلت القنوع حالي نلت من العيش ما كفاني
ولى الى ان اموت رزق لو جهد الناس ما عدانى

وقال محمد بن حازم

مالي بلاد ولا استطرفت من نشب ولا اؤمل غير الله من احد
انى لا كرم وجهي ان اوجهه عن السؤال لغير الواحد الصمد
عز القنوع بحمد الله يمنعني عند التعرض للمنانة النكد
وضبت بالله في يومي وفي غده الله اكبر مأمول ابعد غد

وقال آخر

ليس لي مال سوى كرمي فيه لي امن من العدم
لا اقول الله يظلمنى كيف اشكو غير متهم
قنعت نفسي بما رزقت وتمطت في العلي همي
ولبست الصبر سابغة فهي من قرني الى قدمي
فاذا ما الدهر عاتبنى لم يجدني كافر النعم

وقال محمد بن حازم

عز قنوعي وفخري انني رجل لم تخط دون دناة خطوة قدمي

عندي من الناس انباء وتجربة — اجل اخلاقهافي الفضل والشيم
كم قداهابت بي الدنيافقلت لها — عني اليك ففي اذني كالصمم
اني قد وثقت بقوت لايجاوزني — وصنت وجهي عن لا ءوعن نعم
ولست اذخر فضل القوت من احد — في كل يوم سياتي الله بالطعم

وقال ايضاً

رضيت ببلغة وحططت رحلي — واني للمطالب مستطيع
وادركت الغنا وملكت امري — اذا اشتملت علي الياس الضلوع
واحسن بالفتي من يوم عار — ينال به الغنى كرم وجوع
وقالوا قد زهدت فقلت كلا — ولكن قد اعزني القنوع

وقد ذكرت اعزك الله في هذا الباب مايقنع به ذو الفضل وانا اصله بما جاء في الرزق واتوسط رصفه وصنعته واختصره بالثقة ونبينه بسائر معانيه لتتم مشيئة الراغب فيه واتجنب الاهذار ان شاء الله تعالى

الباب التاسع

﴿ في ذكر ما قيل في الرزق وضمان الله اياه للخلق ﴾

قال أبو القاسم روى الهيثم بن عدي قال قدم ابن اذينة على هشام بن عبد الملك وقد بلغ هشاماً شعره هذا

اني امرؤ ليس في ودي مكاذبة — ولا الغنى حفظ اهل الود ينسيني
وقد علمت وما الاسراف من خلقي — ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى له فيعنيني تطلبه — ولو قعدت اتاني لا يعنيني

قال هشام فما اقدمه فبلغ ذلك ابن اذينة فكر راجعاً وسأل عنه هشام فاخبر بخبره وقال لاجرم والله ليأتينه رزقه موفراً كما عزم فبعث اليه باربعة آلاف درهم وروي محمد بن سلام قال كان لابراهيم بن هرمة انقطاع الى جعفر بن سليمان فكان يجري له رزقاً فقطعه عنه فكتب اليه

ان الذي شق فمي ضامن　　للرزق حتى يتوفاني
حرمتني رزقاً قليلاً فما　　ان زاد في مالك حرماني

قال فرد عليه رزقه

وقال آخر

وكيف اخاف الفقر والله رازقي　　ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفل بالارزاق للخلق كلهم　　وللوحش في الصحراء والحوت في البحر

وقال آخر

لاتتعبوا في الرزق ابدانكم　　فانما الرزق بمقدار
قد جرت الاقلام فيه بما　　يكون من عسر وايسار

وقال آخر

اذا ضاق صدري بالامور تحللت　　لعلمي بان الامر ليس الى الخلق
فلا الحزم يغنيني فأركب عزمه　　ولا العجز والامساك ينقص من رزقي

وقال الخليل

ابلغ سليمان اني عنه في سعة　　وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخاً بنفسي اني لا ارى احدا　　يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا الضعف ينـ　　ـقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وخبرني بعض اهل الادب قال غاب رجل غيبة فاطال فكتب الى امه

ساكسب مالاً او اواري بحفرة　　من الارض لا يبكي عليّ حبيب
ولا واله عبري عليّ حزينة　　ولا احد ممن احب قريب
سوى ان يرى قبري غريب وربما　　بكى ان رأى قبر الغريب غريب

فكتبت اليه امه

لقد هجت احزاناً واذريت عبرة　　واظهرت هجراناً وذلك عجيب
فمنّ على ام عليك شفيقة　　بوجهك لا تنوى وانت غريب
فان الذي ياتيك بالرزق نائياً　　يجيء به والحي منك قريب

فقدم اليها　　وقال آخر

والرزق مقسوم فاجمل في الطلب　　ياتي باسباب ومن غير سبب
واسترزق الله ففي الرزق غني　　والله خير لك من كل ارب

وقال آخر

اغن عن المخلوق بالخالق　　تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله　　فليس غير الله من رازق
من ظن ان الناس يغنونه　　زلت به النعلان من حالق
او ظن ان الرزق في كفه　　فليس بالرحمن بالواثق

ولعمري اعزك الله ان الرضي بما ضمن الله من الارزاق*من جميل مكارم الاخلاق*وقد زعم قوم ان الحركة في الطلب خير من الجلوس*وان الاتكال على الرزق عطب النفوس

وقد روى عن بعض سخفاء العرب انه قال التقلل ضرر

والاتكال غرور وما تكسب الاموال الا بمنازلة الابطال وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف وساذكر في الامر بالحركة وما يرغب فيه ويميل اليه من كان ذا ادب وراي سديد وعزم ان الله تعالى

الباب العاشر

(ما جاء في الامر بالحركة في طلب الاموال والنهي عن الجلوس والتقلل والاتكال)

قال ابو القاسم كان بعض الحكما يقول الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة وينشد

الفقر في اوطاننا غربة   والمال في الغربة اوطان

وقال آخر

لا يمنعنك خفض العيش في دعة   نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد انت ساكنها   اهلا باهل وجيرانا بجيران

وروى عن الكلبي قال بينما عبد الملك بن مروان بالغوطة اذ هو بشاب على فرس وقف بين يديه فقال يا امير المؤمنين اني شاب مملق ذو عيال فأغنى فقال له عبد الملك ارى لك شارة وهيئة فهل رويت من الشعر شيئاً قال نعم قال أفما رويت قول الشاعر

اعص العواذل وارم الليل عن عرض   بذي هباب يقاسي ليله خببا
حتى تمول او حتى يقال فتى   لاقى الذي يشعب الفتيان فانشعبا

قال بلى قد كنت رويتهما ولكنى نسيتهما ثم ضرب وجه

فرسه ومضى فقال عبد الملك اطلبوه فاني احسبه قد عزم على شر فطلب فلم يوجد ولم يلبث ان خرج عليه خارجي اشعر الناس شرا والزمه غرماً ثقيلا ثم كتب اليه يا امير المؤمنين انا الشاب صاحب الغوطة قبلت قولك في البيتين فكتب اليه بامانه واكد له في الضمان فقدم اليه فكان من اجل اصحابه لديه

وقال ابو صالح الاسلمي

وقبيح مقام ذي الهمة الحر	بارض مرعاه فيها جديب
لاعدوانكي ولا النفس اغني	وهو راض بها اكول شروب
او تراه يجوب في طلب الما	ل سهوباً من خلفن سهوب
حول قلب اذا راض ارضا	جد منه الى سواها ركوب
انما العيب ان ترى ساقط الا	همة راض بما رضى المعيوب
واحتيال الفتى دليل على الهمـ	ـة والرزق طالب مطلوب

واخبرني بعض اهل الادب قال دخل رجل على ابى دلف القاسم بن عيسى فانتسب له فقال ابو دلف اتستمنح الناس وجدك الذي يقول

ومن يفتقر منا يصُل بحسامه	ومن يفتقر من سائر الناس يسال

قال الرجل أجدى يقول هذا قال ابو دلف اي والله فشهر الفتى سيفه وخرج بريد الصحراء فما بعد حتى لقي وكيلا لابي دلف ومعه وقر ثلاثة بغال مال فضرب عنقه واخذ المال ومضى واتصل الخبر بابي دلف فقال دعوه فاني جعلت له هذه النفيسة وتمثل بقول الشاعر

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكاً هماماً

وقال اخر

اضحي زميلا للظلام واغتدى ردفا على كفل الظلام الاشهب
فاكون طورا مشرقا لمشرق واكون طورا مغربا لمغرب
واذا الزمان كساك حلة معدم فالبس لها حلل النوى وتغرب

وقال علي بن محمد العلوى

اذا البخيل مط حاجبيه وذب عن حريم درهميه
فاقذف عنان البخل في يديه وزنه وزن والديه
واعمد الى السيف وشفرتيه فاستنزل الرزق بمضربيه
ان قعد الدهر فقم اليه او نازع الامر فثب عليه

وقال اخر

ومقام العزيز في بلد الذل اذا امكن الرحيل محال
حيث لا مدفع عن الضيم بالسيف ولا للكماة فيها مجال
في بلاد يهون فيها عزيز الا قوم حتى تناله الانذال

وقال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

وقال الحريش الشعبي

سأكسب مالاً او يقوم نوائح عليَّ وسربال الشباب جديد
ومالى عيب في الرجال علمته سوى ان مالي يا اميم زهيد

وقال ابو الاسود الدؤلي

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء
تجيء بمثلها طورا وطورًا تجيء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقادر والقضاء
فان مقادر الرحمن تجري بارزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض او ببسط وعجز المرء اسباب البلاء

وقال محمد بن حازم

وارحل اذا اجدبت بلادٌ منها الى الخصب والربيع
لعل نجماً جرى بنحس يكر بالسعد في الرجوع

وقال حاتم طي

ان كنت تزعم ان الارض واسعة فيها لغيرك مرتاد ومرتحل
فارحل فان بلاد الله ما خلقت الا ليسكن منها السهل والجبل
وابغ المكاسب من ازكى مطالبها من حيث تجمل حتى ينفذ الاجل

وقال آخر

درك المرء ان يعيش و يحتا ل ولا بد للفتى من حراك
فاذا المرء لم يحرك يديه لمعاش فقد سعى للهلاك

وقال آخر

اذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر او لام الصديق فا كثرا
وصار على الادنين كلاً واوشكت صلات ذوي القربى له ان تهترا
فسر في بلاد الله تلتمس الغنى تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث ينبغي من الناس الا من جدّ وشمرا

واعلم اعزك الله ان احسن ما ثابر عليه الادباء ورغب فيه الحكماء اقتناء ذوي الالباب ومواخاة ذوي الاحساب وساذكر

لك ذلك على اختصار لتأتي محبة مقتنية وبغية الراغب فيه ان شاء الله تعالى

الباب الحادي عشر

﴿ فيما قيل في اصطفاء الخلان* وتخير الاخدان* والميل الى ذوي ﴾
(الصلاح والامانة* وتجنب ذوي الخيانة)

قال ابو القاسم يقال انه لا شيء اعود على امرئ بالخير من مصاحبة ذي شرف وحجى وكرم ووفا وحفاظ وحيا وانشدني بعض اهل الادب

وما بقيت من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلاً فقد صاروا اقل من القليل

وقال آخر

وضجرت الامن لقاء حسن يحدث الحديث يزيدني تعليا

وقال آخر

ما نالت النفس على شهوة الذ من صديق امين
من فاته ود اخ صالح فذلك المحروم حق اليقين

وقال آخر

اخاك اخاك لا يذهلك عنه مطامع لن تزال ولا رجاء
فاخوان الفتى في الامر زين واركان اذا نزل البلاء

وقال آخر

عليك باخوان الثقات فانهم قليل ففضلهم على من تصاحب
فما الخدن الامن صفا لك وده ومن هو ذو نصح وانت مغيب

الا ان خير الودِّ ود تطوعت به النفس لا ود اتى وهو متعب

وقال آخر

اخوك الذي ان تدعه بعد هجعة يجبك وان تفزع الى السيف يفزع

وقال اخر

كل من كان لا يؤاخيك في الا ه فلا ترج ان يدوم اخاؤه
كل خل افدته ذو اخاء كان لله وده وصفاؤه

وقال آخر

امحض مودتك الكريم فانما يرعى ذوو الاحساب كل كريم
واخاء اشراف الرجال مودة والموت خير من اخاء لئيم

وقال اخر

وما استخبأت في رجل خبيئاً كدين الصدق او حسب عتيق
ذوو الاحساب احسن مخبرات واصبر عند نائبة الحقوق

واعلم ايدك الله ان مما يجب على الاديب وذي الحجى الاريب ان يأخذ به نفسه لرفقائه و يرعاه من عهود اصدقائه استعمال الوفا الذي هو من شيم الظرفا والصفح عن عثرات الاخوان واقالة هفوات الخلان وتغطية مكروه العيوب الذي به تتم مودة القلوب وكتمان الاسرار الذي به تستجلب مودة الاحرار وصدق اللسان الذي هو من شرائع الايمان ويصفو كدر مصاحبة الاوداء وتطيب به معاشرة الاخلاء وقد افردت في كل ذلك باباً انا اذكره لك على الترتيب بجملة ما فيه من الترغيب وابدأ اعزك الله بذكر الوفا ثم اتي بسائر هذه الابواب بعد انقضاء صفة اخلاق الاصحاب ان شاء الله تعالى

الباب الثاني عشر

(فيما ذكر من الامر بالوفاء والزجر عن الملل والجفاء)

قال ابو القاسم يقال انه لا شيء عند ذوي النهي والخلة الكبرى افضل من استعمال حسن العشرة ودوام الوفا وقد قال الشاعر

ان الوفاء على الكريم فريضة　　واللؤم مقرون بذي الاخلاف
فترى الكريم لمن يصاحب منصفا　　وترى اللئيم مجانب الانصاف

وقال العتابي

من لم يكن بالوفاء معروفا　　كان بغير الجميل موصوفا
افضل من انت واصل ابدًا　　من لم يزل الفًا ومالوفا

وقال اخر

فانك لن ترى طردًا لحر　　كالصاق به طرف الهوان
ولن تجلب مودة ذي وفاء　　بمثل البذل او لطف اللسان

وقال ابراهيم بن العباس

وكنت اذا صحبت رجال قو　　م صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنو　　هم واجتنب الاساءة ان اساؤا
وابصر ما يعيبهم بعين　　عليها عن عيونهم غطاء

وقال اخر

الا لامنح من دامت مودته　　ودى والطفه من غير مخلاب
ولست ان صاحب زلت به قدم　　او حال عن عهده يوماً بمغتاب
قد اطلب الامر لا يرجي فادركه　　ولست للامر يزريني بطلابه

وقال حاتم طيء

احبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه　　كان به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسط اذًى　　ولا مانع خيرًا ولا قائل هجرا

وقال بعض ثقيف

ولكن اخائي دائم ومودتي　　احسن منها حسن قولي بالفعل
وما لي من ذنب اليك فلا تكن　　اليّ بذنب كانشوطة الحبل
فلا مرحبا بالسخط منك وبالقلى　　وكل الذي يرضيك في القرب والسهل

وقال اخر

اذا انت رافقت الرجال فكن فتى　　كانك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبًا وباردًا　　على الكبد الحرّا لكل صديق

واعلم ايدك الله ان من حسن الوفاء واخلاص الصفاء الصفح عن الذنوب والتغطية للعيوب والاغضاء عن الصديق والتحامل للرفيق وانا اذكر لك اعزك الله ذلك واختصر ما آتي منه على لطافة معانيه ان شاء الله تعالى

الباب الثالث عشر

﴿ فيما قيل في اقالة العثرات عثرات الاودا والصفح عن هفوات الاخلاء ﴾

قال ابو القاسم اوصى بعض الحكما ولده فقال يابني لا تواخ احدًا حتى تعرف موارد اموره ومصادرها فاذا استنبطت منه الخبرة ونصبت منه العشرة فآخه على اقالة العثرة والمواساة في العسرة

وقال العتابي

بيّن اخاك بحسن وصفك فضله   وبث ماباق من الحسنات
وتجاف عن عثراته واساته   من ذا الذي ينجو من العثرات

وقال اخر

ولست مستبقيا اخالك لا   تصفح عما يكون من زلله
من ذا الذي هذبت خلائقه   في ريثه ان اتى وفي عجله

وقال اخر

ومن لايغمض عينه عن صديقه   وعن بعض مافيه يمت وهو عايب
ومن يتتبع عثرة من صديقه يصبها   ولا يسلم له الدهر صاحب

وقال اخر

واغضي للصديق عن المساوى   مخافة ان اصير بلا صديق
اميل على الزمان مع ابن عمي   واخذ للصديق من الشقيق

وقال اخر

وان امراء لم يعف يوما فكاهة   لمن لم يرد سوءا به لجهول
خليق بان يلقاه في مضمئلة   يظل بها يوما عليه طويل

وقال اخر

ليس الفتى الذي يحول عن العهد   ويؤتى الصديق من قبله
مثل الاديم الذي تعالجه   لاخير في دبغه على نغله
لا اصحب الخائن الكذوب ولا   اقطع وصل الصديق من ملله
اجزيه بالود ماحييت ولا   يعدم صفحي السنيء من عمله

وقال اخر

اخلص الود لمن احببته   واغفر العثرة منه ان عثر
وان زلت به النعل فلا   تلبسن يوما له جلد النمر
عد بحلم منك تطفي جهله   انما الجهل كنار تستعر

وقال اخر

اذا الحر آخى الحر يوما فواجب   عليه اغتفار الذنب والشكر للنعم

وقال اخر

واذا رايت ولا محالة زلة   فعلى صديقك فضل حلمك فاردد

وقال اخر

لاتقطعن ذا الود في زلة   فربما زل ذو الود

وقال اخر

قارب اخاك على صفائه   واشرب على كدر بمائه
وتأنه فلعله   يوما يعود الى صفائه
ان الرفيق مؤيد فيما   يحاوله برائه

واعلم (اعزك الله تعالى واعلى ذكرك) ان من اعطى النصفة اخوانه وعاشر بجميل العشرة اقرانه* قوى بهم عضده* واشتد بهم جلده وبذلوا دونه المهج* وغاصوا في رضاه اللجج* ولم يزل المرء وان كان كثيرا بقرابته قليلا* حتى يصطفي لنفسه صاحبا وخليلا* فان الاخوان من الاباعد* هم المعتمد عليهم في الشدائد* وان في اظهار مشاحنة القريب مايدل على اخاء مودة الغريب* وانا اشرح لك ايدك الله بابا يروق الادباء منظره* ويسرهم مخبره ان شاء الله تعالى

الباب الرابع عشر

ماقيل في تفضيل البعيد من الصديق * على القرابة والشقيق

قال) ابو القاسم قيل لبعض الحكما اخوك احب اليك ام صديقك
قال ان اخي اذا كان غير صديق لم احبه وكان يقال الصديق الموافق*
خير من الشقيق المنافق *وقال بعض الحكماء المودة اقرب الاحساب
واشبك الانساب وقال الشاعر في هذا المعنى

ولقد وصلت الناس ثم بلوتهم   وعرفت ما بلغوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا   واذا المودة اقرب الاسباب

وقال اخر

رب غريب ناصح الجيب   وابن اب متهم العيب
ورب عتاب له منظر   مشتمل له على الغيب

وقال اخر

اخو ثقة يُسر بحسن حالي   وان لم تدنه مني قرابه
يُسر بما اُسر به ويأوي   اذا ما ازمة نزلت وكآبه

وقال اخر

كم من اخ لك لم يلده ابوكا   واخ ابوه ابوك قد يجفوكا
صافِ الكرام اذا اردت أخاءهم   واعلم بان اخا الحفاظ اخوكا
كم اخوة لك لم يلدك ابوهم   وكانما آباؤهم ولدوكا
لو جئت تحملهم على مكروهة   تخشى الحتوف بهم لما خذلوكا
واقارب لو ابصروك معلقا   بنياط قلبك ثمّ ما رحموكا

وقال آخر

رأيت تهاجر الاخوان عدلا   اذا اصطلحت على الود القلوب
وقد يدنو البعيد على التنائي   وقد ينأى عن القرب القريب
وليس بغائب من حل قلبا   ولكن من نأى عنه يغيب

وقال آخر

وجدت غريب الدار خير وان نأى ... من المبعد الود القريب المناسب
ورب اخ لم يدنه لك والد ... تراه كابن الام عند النوائب
ورب بعيد حاضر لك نفعه ... ورُب قريب حاضر منك غائب

وقال آخر

كم يمكث الناس حينا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم واللطف
يشكو الشقيقان طول الهجر بينهما ... وتلتقى شُعب شتى فتأتلف

وقال اخر

اخوك اخو الحب ان دعوته ... الى حدث الفيته منك دانيا
وليس اخو القرب الذي ان دعوته ... لنائبة الفتيه عنك نائيا

وقال اخر

لكل هم من الهموم سعة ... والهم والضيق لا فلاح معه
فصل حبال البعيد ماوصل الا ... حبل واقصى القرب ما قطعه
واقبل من الدهر ما اتاك به ... من قرعينا بعيشه نفعه

وقال اخر

تمسك بوصل المظهر الحب واجتنب ... وصال سواه من قريب وشاسع
فذو الود ادنى الناس منك قرابة ... فصله فما وصل البعيد بضائع
ولا تغترر بالوصل من ذي قرابة ... فما قرب ذي البغض النسيب بنافع
وكم من بعيد صادق الود مخلص ... وذي رحم داني القرابة قاطع

على ان الغدر أعزك الله تعالى في العالمين * من القرابة والا بعدين * سنة لا يجوز عنها التبديل * ونهج ليس عنه تحويل * فان عجبي من ذلك لكثير اذ ليس مواخاة الاخ الا غروراً فما ادرى اهم فسدوا بفساد

الزمان* أم الزمان فسد بفساد الاخوان* وان اشرح لك ان شاء الله تعالى في ذلك باباً ينتفع به من مال اليه وعوّل عليه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس عشر

(فيما جاء في فساد الزمان* وتغير مودة الاخوان)

قال ابو القاسم دخل عبدالله بن شبرمة على معاوية وقد اتت عليه عشرون ومائتا سنة فقال يا عبد الله ما ادركت من الزمان وما الذي شاهدت من الاخوان فقال ادركت الناس يقولون ذهب الناس

وقال لبيد بن ربيعة العامري في ذلك

ذهب الذي يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب
لا يربحون ولا يؤمل نفعهم   ويعاب قائلهم وان لم يسغب

وقال اخر

ذهب الذين يعاش في اكنافهم   والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم   بعضاً ليدفع معور عن معور

وقال اخر

ذهب الذين هم الغيات المنزل   وبقي الذين هم العذاب المرسل
وتقطعت ارحام اهل زماننا   فكانما خلقت لئلا توصل

وقال اخر

ذهب الناس واستقلوا وصرنا   في خسار او انيس يستامى
في اناس يراهم الناس ناساً   واذا فتشوا فليس هم باناس
كملوا في القدود طولاً وعرضاً   وهم في الحساب دون القياس

وقال آخر

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم فما ادرى بمن اثق
كأنَّ مكارم الاخلا ق سدت دونها الطرق
فلا عقل ولا دينٌ ولا ادب ولا خلق

وقال اخر

لا تكذبن فان الناس قد خلقوا لرغبة يكرمون الناس او فرق
اما الفعال فدون النجم مطلبه والقول يوجد مطروحاً على الطرق

ولما قدم محمد بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام كتب الى اخيه طاهر بن عبد الله والى خراسان يشكو اليه قلة الانيس*وتأذيه بفساد الجليس*فكتب طاهر اليه

طب عن الامة نفساً وارض بالوحدة انسا
ما راينا احدا سا وي على الخبرة فلسا

وقال محمد بن حازم

خذ من الدهر ما كفا ومن العيش ما صفا
لا تلحن في البكا ء على منزل عفا
ليس فيه من ينطوى لصديق على وفا
حل عنك العتاب ان حان ذو الود او هفا
غير من لا يحب وصلك يبدي لك الجفا

وقال اخر

ياواضعاً بيض القطا تحت الحد اطلب الفراخ
لو عاينت ما تحتها لم تعد من نقر السماخ

ياغارساً بيمينه شجر الا حفاظ على السباخ
فسد الخلائق كلهم فاختر لنفسك من تواخي
ان الذين واخيتهم هم ناصبون لك الفخاخ

وقال اخر

ذهب الذين اذا غضبت يحملوا واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا اصبت غنيمة فرحوا بها واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

وقال اخر

ذهب الذين فضولهم معلومة ولهم اذ اقحط الربيع جفان
ذهبوا فليس لهم ضريب واحد افلا تراهم لا اباك كانوا

وروى ان سفيان الماجشوني كان بالعراق مؤدباً لبعض ملوكهم فقدم المدينة فسئل عن اهل العراق فقال

بها ماتشت من رجل نبيل ولكن الوفاء بها قليل
يقول فلا ترى الاسدادا ولكن لا يصدق مايقول

وفي هذا المعنى

ان المودة والمآرب قضيا من الناس التجارب
لم يتركا لي صاحباً اصبو اليه ولا اعاتب
متفردا بتوحيدي دو ن الاباعد والاقارب

ولي اعزك الله بقلة الخليط والمصاحب*من ادبه طول التجارب فانك لن تجد العاقل الا مستوحشامن زمانه*منفردا عن اخوانه

وقال آخر

لكل امرء شكل من الناس مثله فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا
على ان خلق العقل ليس بواحد له في طريق حيث يسلكه مثلا

على انه على قدر تشا كل الاجناس*تتألف قلوب الناس*فاقربها مشا كلة*احسنها مواصلة*واكثرها تنافرا*اطولها تهاجرا*والارواح تتعارف*والنفوس تتالف

وقال الشاعر

ان القلوب لاجناد مجندة   لله بالارض في لاهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف   وما تناكر منها فهو مختلف

وهذا الشاعر اخذ هذا المعنى من الخبر القلوب جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف ولقد احسن عبدالله بن طاهر حيث يقول

وقائل كيف تهاجرتما   فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي فتاركته   والناس اشكال وآلاف

وانا ادام الله عزك اذكر فصلا في ذلك يعتمد عليه ويرغب فيه ان شاء الله تعالى

الباب السادس عشر

(في مرافقة الاشكال*ومصاحبة ذوي الامثال)

قال ابو القاسم كل امرئ يجري على شاكلته*وكل انسان يعرف بطريقته*وينسب الى خلطائه*ويعرف بقرنائه*وقد قيل في الخبر اخبروا الناس باخدانهم فان الرجل يخادن من يعجبه

وروى ان عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكة قد عرفنا خياركم من شراركم في ليلة نزلنا ومعنا خيار واشرار فنزلنا خيارنا على خياركم وشرارنا على شراركم فعرفنا ذلك وقد قال الشاعر

ما الماء منحدر من فرع رابية يوما باسرع من غاو الى غاو

وربما مني معاشر الكرام *بمصاحبة اللئام وقد روى عن بعض الحكماء انه قال من يصحب صاحب السوء لا يسلم *ومن يدخل مدخل سوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم *فترك مصاحبة الاشرار *اولى بذي الآداب والاقدار *وان من اكمل السعادة والرشاد *صيانة الحر نفسه عن الاوغاد وقد قال بعض الحكماء مصاحبة الاشرار خطر *ومن صبر على صحبتهم فقد بالغ في الضرر *وانما هو كراكب البحر الذي ان سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحزن وقال الشاعر

صاف الكرام بني الكرام فانما يلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بني اللئام فانما يلد اللئام بنو اللئام لئاما

وقال اخر

ونفسك اكرمها وصنها فانها متى ما تصاحب سفلة الناس تعطب

وقال الآخر

مشي البرى مع المقارف تهمة ويرى البري مع السقيم فيلطخ

وقال آخر

لاتك للجاهل خدنا فقد يعتبر الصاحب بالصاحب

وقال بعض الحكما المرء حيث يجعل نفسه ان صانها ارتفعت وان قصر بها اتضعت وقال الشاعر

وما المرء الا حيث يجعل نفسه فابصر بعينيك امرءا حيث يعمد
ولن يصحب الانسان الا نظيره وان لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغي الا ان تصاحب غاويا وما الرشد الا ان تصاحب مرتشد

وقال آخر

يشين ذا اللب ان ذو الجهل صاحبه كما يزين حليم القوم من صحبا

وقال اخر

اخو الفسق لا يغررك منه تودد فكل حبال الفاسقين مهين
وصاحب اذا ما كنت يوما مصاحبا اخا ثقة بالغيب منك امين

وقال اخر

صاف الكرام وكن لعرضك صائنا وعن اللئيم وفعله متنكبا

وقال آخر

اجعل قرينك من رضيت فعاله واحذر مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرين شائن لقرينه ومهجن منه لكل محاسن

وقال اخر

ولا تصل حبل غادر مذق فالغدر من شيمة الرجل
لا خير في غادر مودته كالصاب والقول منه كالعسل

فقد يجب اعزك الله على العاقل ان يتخير خدينه* ويستجيد قرينه* على ان السليم من العيوب عند الامتحان معدوم* ولم يزل في جدة الزمان فكيف به اليوم* مع تصرف الدهور *وتغير الامور ولقد قال

بعض الحكماء قولاً جعله عدلاً فصلا * اصاب به قص الحق * ونطق بحكم الصدق * الناس بزمانهم اشبه منهم بابائهم وقال سعد بن حميد في هذا المعنى واحسن

وما انت الا كالزمان تلونت   نوائب من احداثه وامور
وان قل انصاف الزمان وعدله   فمن ذا على حكم الزمان يجير

وقال آخر

تعاون على الخير تظفر ولا تكن   على الاثم والعدوان ممن يعاون
وان كنت في قوم فقارن خيارهم   فانك منسوب الى من تقارن

وقال آخر

صاف الكرام تخير من صافيته   من كان ذا ادب وكان ظريفا
واحذر مواخاة اللئيم فانه   يبدي القبيح وينكر المعروفا
ان الكريم وان تضعضع حاله   فالخلق منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهم قلبتها   فاصبت منها فضة وزيوفا

فمن اين يوجد الصديق (اعزك الله) واين يطلب الرفيق ان كانت المودة الى طباع الزمان وزماننا هذا وقد عرفنا غدره وتبينا كدره والغالب على اهله وقد قال الشاعر

اذا كان الزمان زمان سوء   فمن لك من خليلك بالوفاء

وانا اقول فساد الاخوان * اشد من فساد الزمان وقال بعض الشعراء

ارى حللاً تصان على رجال   واعراضاً تذل ولا تصان
يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

ومن عجيب تصريف الزمان * وعظيم المصائب في الاخوان

كثرتهم في الرخاء *وقلتهم عند حلول البلاء *وفي كل ما ذكرته (اعزك الله) من تغير الاخوان *وفساد الزمان *فصول قد ذكرت بعضها واتيت بها على نظامها وسابلغ شأوك في وصفها *وغايتها ان شاء الله تعالى

الباب السابع عشر

﴿ ما قيل في ذي الوجهين والنفاق *وانه لا تدوم له اخلاق ﴾

قال ابو القاسم روي في الخبر ان اشر الناس من له وجهان ولسانان وقال حاتم طيء

وذو الوجهين يلقاني طليقاً — وليس اذا تولى يأتليني
بصرت بعيبه فصفحت عنه — محافظة على عرضي وديني

وقال ابراهيم بن المهدي

وأحب اذا احببت مكتتماً — يخفي العداوة احياناً ويبديها
تظل في عينه البغضاء كامنة — فالقلب يكتمها والعين تبديها

وقال صالح بن عبد القدوس

قل للذي لست ادرى ما تلونه — اناصح ام على غش تواخيني
اني لاكثر مما سمتني عجبا — يد تشج واخرى منك تأسوني
تغتابني عند اقوام وتمدحني — في آخرين وكل منك ياتيني
هذان امران شتى بون بينهما — فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني

وقال

فاما ان تكون اخي بحق — فاعرف منك غثي من سميني
والا فاطرحني واتخذني — عدواً اتقيك وتتقيني

وقال دعبل بن علي الخزاعي

عدو راح في ثوبي صديق   صديقك في الصبوح وفي الغبوق
له وجه فظاهره ابن عم   وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهرًا ويسوءك سرًّا   كذاك يكون ابناء الطريق

وقال آخر

حصادك يومًا ما زرعت وانما   يُدان امرؤٌ يومًا بما هو دائن
فلاتك ذا وجهين تبدي بشاشة   وفي قلبك ضيف من الحقد كامن
فكم قد رأينا من صحيح ود غيبة   تقيم وتحت الرحل تدمى السناسن
الا ربما صار العدو مصافيًا   وحال عن الود الصديق المثافن

وقال آخر

وما صاحبي عند الرخاء بصاحب   اذا لم يكن عند الامور الشدائد
اذا ما رأى وجهي فاهلاً ومرحبًا   ويرمي ورائي بالسهام القواصد
اذا انتقد الناس الكرام رأيته   يطن طنين الزيف في كف ناقد

وقال سعيد بن حميد

لي صاحب كثرت عليَّ جهاته   فلبست منه بحير المرتاب
طالت معاتبتي له وتألفي   ويقل نفع تألفي وعتابي
او ليس من نكد الزمان تقربي   ممن يرى قربي اشد عذابي
ايقنت ان الصابرين على الاذى   يؤتون اجرهم بغير حساب
فصبرت محتسبًا فكم من صابر   دارت له العقبى بحسن ثواب

وقال اخر

ولا خير فيمن وده بلسانه   وفي الصدر غش داخل يتردد

وقال اخر

حلوف اذا يلقاك اني لناصح   ويرميك بالعوراء حين يقوم

وقال اخر

تلونت حتى لست ادرى من العمى   اريح جنوب انت ام ريح عاصف
ارى فيك اخلاقاً حساناً قبيحة   فانت صديق كالذي انت واصف
كذوب صدوق احمق متطرف   سخيٌّ بخيل مستقيم مخالف
كفور شكور ليس يدري صديقه   ايجفوه من لين له ام يلاطف
كذاك لساني شاتم لك حامد   كما ان قلبي جاهل بك عارف
ولست بذي غش ولست بناصح   واني من جهل بشأنك واقف
اظنك كالزيوف مافيك فضة   فان تك مغشوشاً فانك زايف

وقال اخر

اذا ماانقضى الود الا بكاسر   فهجر جميل بالفريقين صالح
تلونت الواناً علي كثيرة   ومازج عذبا من اخائك مالح
ولي عنك مستغنى وفي الارض مذهب   فسيح ورزق الله غاد ورائح
سلام وداع لا تواصل بعده   فلا القلب محزون ولا الدمع سائح
لتعلم اني حين رمت قطيعتي   وسامحت بالهجران اني مسامح
الا انني لا نائل بعداوة   عليك ولا صب الى السلم جانح
يعالي باغ يوم يطمع صاحب   الى الشر في وجهي له وهو كالح

ولقد احسن ابراهيم بن العباس في نهيه عن النفاق وامره بجميل الاخلاق حيث يقول

خل النفاق لاهله   وعليك فالتزم الطريقا
وارغب بنفسك ان ترى   الا عدوا او صديقا

وقال محمد بن حازم

وذي اوجه يرمي الصديق ببشره   على انه مما يحب بعيد
تخلق اخلاقاً فلما امتحنتها   تخليت عنه والمناقب سود

ملول اذا قاربت جد بعاده   يسوءك ان عاتبته ويزيد
واني لعهد من ملول لصاحب   املا بما حل البلا مرود
ابى الله للآلاف الا تفرقا   وللدهر ان يبقى عليه جديد

وقال آخر

ارى رجلا تغيره الشهور   واخر لا تغيره الدهور
وفي الرجلين من هو ذو وجوه   يدور مع الزمان كما يدور
فيفرح ان رآك بحال سوء   ويحزن ان طاف بك السرور
وفي الاخوان من هو مستقيم   على سنن الاخوة لا يجور
يسر بان تسر وليس ممن   يغير ان تغيرت الامور
وان عيونهم لتدور منهم   على اشياء تكتمها الصدور

وقد ذكرت اعزك الله في هذا الفصل *ما فيه مقنع لذوي الفضل وانا انسق عليه بما يقارب معانيه* ويشاكله ويدانيه* من تغير الاخوان عند الحاجة اليهم فان ذلك يجانس ماذكرناه في الباب المتقدم ووضعناه لاكثر منه خوف الاهذار* بل اصرف الهمة الى الاختصار ان شاء الله تعالى

الباب الثامن عشر

(فيما قيل في تغير الصديق عند الحاجة اليه* وطلب الاخ
(من اخيه مالديه)

قال(ابو القاسم) قال بعض الحكما افضل على من شئت فانت اميره* واستغن عمن شئت فانت نظيره* واحتج الى من شئت فانت اسيره* وقال ابو الشيص

وصاحب كان لي وكنت له　　اشفق من والد على ولد
كنا كساق يسعى بها قدم　　او كذارع نيطت الى عضد
وكان لي مؤنساً وكنت له　　ليست بنا حاجة الى احد
حتى اذا استرفدت يدي يده　　كنت كمسترفد يد الاسد
وان ودّ عيني كان ينظر من عيني　　ويرمي بساعديه ويدي

وقال آخر

اذا لم يكن عندي نوال هجرتني　　وان كنت ذا بذل فانت صديقي
تواصلني والمال جم موفر　　وصال اخ بر عليَّ شفيق
فان قل مالي او تعرض نكبة　　فما نلتقي الا بظهر طريق
ساصرف عنك النفس من غير بغضة　　واقطع ايامي بشرب رحيق

وقال ابراهيم بن العباس

وكنت اخي بالدهر حتى اذا نبا نبوت　　فلما عاد عدت مع الدهر
فلا يوم اقبال وجدتك طائلا　　ولا يوم ادبار عددتك من وتري

وقال ابو العتاهية

ان من احوجك الدهر اليه　　وتعرضت له هنت عليه

وقال آخر

والناس ما استغنيت كنت اخاهم　　فاذا افتقرت اليهم رفضوكا

وقال آخر

انت ما استغنيت عن　　صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه　　ساعة عدوك وصلوه

وقال اخر

ارى قوماً وجوههم حسان　　اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم　　تغير حسن اوجههم علينا

وفيهم من سيمنع ما لديه ، ويغضب حين يمنع ما لدينا
فان يكن فعلهم حسناً وفعلي قبيحاً مثله فقد استوينا

وقال اخر

كم من صديق كنت ادعو له ان يجعل الدنيا كالاً لديه
حتى اذا صار الى حاجتي منها وصارت حاجتي في يديه
مال عن العهد وعن ودنا واظهر الشح على درهميه
فما مضى بعد دعاءي له يومان حتى صرت ادعو عليه

وقال ابراهيم بن العباس

دعوت لاحدى النائبات محمدا فاعرض عني نخوة وتعظما
وكم من اخ ناديت عند ملمة فالفيته منها اجل واعظما

وقال اخر

اخ كنت آوى منه عند ادكاره الى ظل ايثار من العز باذخ
سعت نوب الايام بيني وبينه فاقلعن منا عن ظلوم وصارخ
فاني واعدادي لدهري محمدا كملتمس اطفاء نور بنافخ

وقال آخر

اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا وجداه في الماضين كعب وحاتم
ففتش عما في يديه فانما تكشف اخبار الرجال الدراهم

واكثر من هذه صفته عيوباً* واعظم منه عند الاخوان ذنوباً* من ازاله نظر الثراء* عن دوام الصفاء* وساذكر لك من ذلك ما يقنع اللبيب واختصره ان شاء الله تعالى

الباب التاسع عشر

(ما قيل فيمن صار بعد الشدة الى الرخاء * فحال عن مودة ذي الصفاء والاخاء)

قال(ابو القاسم) كتب ابو العتاهية الى صديق له كان يصله ثم اثرى فقطعه

ابا الفضل لا ترجي المودة من اخ   جفا كل ذي ودٍ له وهو ظالم
فقلت له لما تغير عهده   وحالت به عما عهدت الدراهم
هلم الى الوصل الذي كان بيننا   ومالك موفور وعرضك سالم

قال سعيد بن حميد

وكنت اذا ما صاحب مل صحبتي   صددت وبعض الصدفي الود امثل
وقلت جميلاً حين اصرم حبله   وان كان لم يات التي هي اجمل

وقال اخر

في سعة الارض وفي اهلها   مستبدل بالخل والجار
فمن دنا منك فاهلاً به   ومن تولى فالى النار

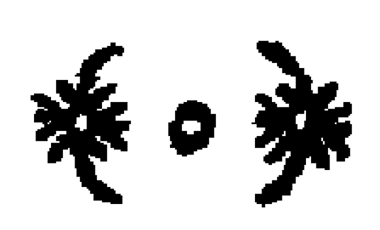
وقال اخر

اذا كنت في دار يهينك اهلها   ولم تك مكبولا بها فتحول

وقال اخر

اذا استنكرت حالاً من صديق   فلست عن التجنب في مضيق
طريقًا كنت تسلكه سليماً   واسع فاجتنبه الى طريق

ولقد احسن الذي يقول



فان صواب الحزم والرأي للفتى اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقال اخر

اذا المرء لم يحببك الا تكرهاً فدعه ولا يعجز عليك التحول
في الارض اكفاء وفيها مُراغم عريض لمن خاف الهوان ومرحل

وقال اخر

واذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار وعجل التحويلا
ليس المقام عليك حتماً واجباً في منزل يدع العزيز ذليلا

وقال حاتم طي

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما انا مخلف من يرتجيني
وكلمة حاسد من غير جرم سمعت فقلت مُري فانفذيني
عنيتُ بها كأن قيلت لغيري ولم يعرق لها يوماً جبيني

وقال ابو العتاهية

ما انا الا لمن بقاني ارى خليلي كما يراني
لست ارى ما ملكت طرفي مكان من لا يرى مكاني
من ذا الذي يرتجى الاقاصي ان لم ينل خيره الاداني

وقال اخر

أكرم الصاحب ما صاحبني واكف اللوم عنه والعذل
فاذا يهلك سبالم اقل ابداً يا صاح ما كان فعل

وقال آخر

ومن شيمتي انى اذا المرء ملنى واظهر اعراضاً ومال الى الغدر
اطلت له فيما يحب عنانه وتاركته في حسن يسر وفي عسر
فان عاد في ودي رجعت لوده وان لم يعد القيت ذاك الى الحشر

وقال اخر

ومن شيمتي الا افارق صاحباً   على حالة الا سالت له رشدا

وقال محمد بن حازم

خلقان لا ارضى فعالها   تيه الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطرًا   واذا افتقرت فته على الدهر

وقال اخر

كن اذا كنت عديمًا   لي خلاً ونديما
ثم اثريت واعرضـ   ـت ولم ترع قديما
صار ما نلت من المال   لنا ذنبًا عظيما
هكذا يفعل بالاخوا   ن من كان كريما
ردك الله الى ود   دي مديونًا غريما

وقال اخر

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ   يفيد غنى الا يداخله الكبر
والا زها او ظن انك دونه   وتلك التي جلت فما عندها صبر
فلا زيد فوق الفوق مثقال ذرة   صديقي ولا اوفى على غيري البسر
وما ذاك الا رغبة في اخائه   والاحذار ان يميل به الدهر

وكتب محمد بن حازم الى بعض اخوانه وقد اثرى فوجد منه بعض الكبر

ائن بلغت التي كنا نؤملها   واستشرفت همتي وارتاح آلافي
انكرت منك امورًا كنت اعرفها   من حسن بشر واكرام والطاف
فاستصغت الاذن الا ان تعم به   اولا فمطرحٌ في مدرج الساف
ما كان مثلي خدنا ان تضيعه   وانت ذو كرم من نسل اشراف

وقال ابو العتاهية

ابا جعفر ان الفتى نبشينه   تتايهه عند الاخلاء بالوفر

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغني يخشى عليه من الفقر
الم تر ان البحر ينضب ماؤه وتاتي على حيتانه دولة الدهر

وقال محمد بن حازم

ان اللئيم اذا افاد غنى خان الصديق وخاس بالعهد
والحر في يسر وفي عسر باقي المودة محكم العقد
فلئن ذهبت بثروة وغنى وصددت عني فعل ذي الحقد
فلقد تكون وانت ذو عُدم ضَرِعًا اليّ اذل من عبدي

وقد امر العقلاء اعزك الله بالانصراف اذا تغيرت الاخوان وان في ذلك المناصفة لاهل الوداد* والمجاراة على الغدر والبعاد* وفي ذلك باب جليل* يجمعه كلام نبيل* وشعر جميل* انا آتي به على اللطافة بالتدبير وحسن النية في التقدير ان شاء الله تعالى

الباب العشرون

(فيما قيل في الانصراف عن الاخوان* عند تغير الآلاف والاقران)

قال ابو القاسم لقد تركتني معرفة الناس فردًا وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد

وقال آخر

فان دام لي بالود دمت ولم اكن كآخر لا يرعى ذماما ولا عهدا

وقال اخر

ولست اذا ولى الصديق بوده   بمكتئب عليه واندب
ولكنه ان دام دمت وان يكن   له مذهب عنى فلي عنه مذهب

وقال اخر

نصل الصديق اذا اراد وصالنا   ونصد بعض صدوده احيانا
ان الكريم اذا اراد قطيعة   ستر القبيح واظهر الاحسانا
لا مظهر عند القطيعة سره   بل حافظ من ذاك ما استرعانا

وقال ابراهيم بن العباس

واذا جزى الله امرءا بفعاله   فجزى اخالي ما جدا سمحا
ناديته عن كربة فكأنما   ناديت عن ليل به صبحا

وفيما مضى اعزك الله في هذه الفصل كفاية للاديب ومقنع للبيب وانا اصله فيما قيل في مكارم الاخلاق وافعال السادة والاشراف وانسق عليه ما يعادله* ويدانيه ويشاكله* على التوسط في الرصف* حتى يكون لائقاً بالوصف* ان شاء الله تعالى

الباب الحادي والعشرون

(فيما يستحسن من اخلاق ذوي الكرم* وافضال ذوي النعم* ومدح من يقول لا ونعم)

قال ابو القاسم روى عن الاصمعي انه قال اتي اعرابي خالد بن عبد الله وقد قدم له فرسا ليركبه فانشا يقول

هذا الذي كنت له ارتجي   لدفع ما القى من الدهر
ما قال لا قط ولو قالها   صام لها البيض من الشهر

قال وجاء الى خالد البرمكي جميل بن غياث بن ورقاء التميمي فقال اني امدحتك ببيتين فقال هاتهما فانشا يقول

فان البرية ان تولى خالدٌ ان المكارم وافقت آجالها
والناس ان حضرت منية خالد كالنبل ينزع ريشها ونصالها

فقال خالد حكمك قال عشرة الاف درهم فاستقلها له خالد وأمر له بعشرين الفاً وقال هيثم بن عدي كنت عند عقبة بن مسلم في البحرين اذ دخل عليه ابن الشرفي القطامي فقال اصلح الله الامير قد مدحتك الشعراء فاكثرت وقد مدحتك ببيتين املت فيهما اثني عشر الف درهم فقال هاتهما فانشد

لزمت نعم حتى كانك لم تكن سمعت من الاشياء شيئاً سوى نعم
وانكرت لا حتى كأنك لم تكن سمعت بلا في سالف الدهر والامم

وقال ابو زهيل في ابن الازرق

عقم النساء فما يلدن بمثله ان النساء بمثله عقُمُ

وقال آخر

ما قال لاقط من بخل ابو دلفٍ الا في التشهد لكن قبله نعم
قرا عليه كتاباً منه كاتبه الى اخ وجبت منه له الذمم
حتى اذا ما قرا لا في صحيفته قال استمع ثم لا يذهب بك الصمم
لا تكتبن بلا عني الى احد شق الكتاب ومر فليكسر القلم

قال واتى رجل معن بن زائده فلما طال مقامه ببابه كتب اليه

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فدفع معن الرقعة وكتب اليه خلفها

اذا كان الكريم قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب

فقال الرجل قطعني وانصرف فأمر معن فردوه وامر له بجائزة

وقال آخر

لو كنت في شيء خلافك لم تكن لتكون الا مسحبًا في مسحب

ياليت لي من جلد وجهك رقعة فأقدّ منها حافرًا للاشهب

وقال آخر

نعم ان قلتها فهي الثريا وقولك لا على طرف الكلام

وما لك نعمة سلفت علينا وكيف وانت تبخل بالسلام

سوى ان قلت لي اهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رامي

وهـذا ادام الله عزك يتصل بفعل المعروف وساذكر منه ما يستغنى بقليله عن الاكثار ويسيره عن الاهذار ان شاء الله تعالى

الباب الثاني والعشرون

﴿ فيما جاء في فعل المعروف ومن مدح باغاثة الملهوف ﴾

قال ابو القاسم من لا يرغب في ثلاث بلي بثلاث من لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في الاخوان بلي بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران وكان يقال لا تكون المودة الا بالالفة والسرور ولا يكون المعروف الا بانشراح الصدور وروي عن بعضهم انه قال وجد في بعض كتب الحكماء الاجل آفة الامل والبرّ غنيمة الحازم والمعروف ذخيرة الابد والتفريط مصيبة ذي القـدرة وقال

عبدالملك لبنيه يابني ابذلوا معروفكم وكفوا اذا كم واعفوا عندالقدرة ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا اذا سالتم فانه من ضيق ضيق عليه ومن سهل سهل عليه

وقال علي بن جبلة

اصنع العرف حيث كنـ ـت يد العرف عاليه
و يد العرف حيث كنـ ـت على الدهر باقيه
صنْ سوءولا رجا لا ان يتقاضاك ثانيــه

وقال آخر

ومن يذخر الاموال لا يبق ذكره ومن يذخر المعروف تبق ذخائره

فكأن ذلك لو سقط المعروف ما كان يسقط الا متكئا وقد قيل المعروف اذا منّ المعروف كدر وقال الشاعر

افسدت بالمن ما اسديت من نعم ليس الكريم اذا اسدى بمنان

وقال اياس بن معاوية اهنى المعروف عاجله وقال الشاعر

فما نحن نخشى ان يخيب رجاؤنا ولكن اهنى المعروف ماهو عاجله

وقال بعض الحكماء لا شيء احسن من معروف عند من يستحقه فان شكر فقد احسن وان قصر فان الله يجازيه قال وكان الحجاج يقول في خطبته ايها الناس لاتملوا المعروف فان صاحبه على خير اما شكرا في الدنيا او ثوابا في الاخرة وقال الشاعر

ومن يعف يومًا عن صديق لعثرة يدم وصله فيما بقى وخلائقه
فحافظ على العهد القديم ولا تكن بطيا عن المعروف ربّا علائقه

وقال اخر

وبادر بمعروف اذا كنت قادرًا　　حذار زوال او غنى عنك يعقب

وقال آخر

وليس كريما من يخص بوده　　وليس جوادا بالذي يتعلل
فبادر بمعروف اذا كنت قادرا　　فاني ارى الدنيا تميل وتعدل

وروى الاصمعي قال حدثني رجل من اهل الشام قال قدم وفد على عبد الملك بن مروان وفيهم صبي من صبيان قضاعة فقال له عبد الملك تكلم ياصبي فانشأ يقول

والله ماندري اذا مافاتنا　　طلب لديك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد　　احدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا الذي عودتنا　　اولا فا رشدنا الى من نذهب

قال فامر له بالف دينار فلما كان في السنة الثانية قدم عليه فقال له عبد الملك بن مروان تكلم ياصبي فانشا يقول

يريك الذي يأتي من الخير انه　　اذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس بيان حين تم بناؤه　　يعاجله بالنقض حتى يهدما

قال فامر له بالفي دينار فلما كان في السنة الثالثة قدم عليه فقال له عبد الملك تكلم ياصبي فانشا يقول

اذا استغفروا كانوا مغازير بالندى　　يكرون بالمعروف عودا على بدء

فامر له باربعة الاف درهم فلما انصرف مات في طريقه

وقال آخر

لاشكرنك معروفا هممت به　　لان همك بالمعروف معروف

ولا اذمك ان لم يمضه قدر　　الرزق بالقدر المجلوب مصروف

وقال رجل لابن شبرمة صنعت الى فلان والى فلان فقال له اسكت فلا خير في المعروف اذا احصى واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة وانشد

زاد معروفك عندي عظماً　　انه عندك مستور حقير
تتناساه كان لم تأته　　وهو عند الناس مشهور كبير

وقال آخر

وابذل مالي للصديق وغيره　　فان نالني معروفي فقدنالني الشكر
وحسبك ان تحيى حميداً اوان ترى　　فقيداً اذا داوى شمائلك القبر
فما خير حيّ ليس يحمد امره　　وما خير ميت ليس يتبعه الذكر

وقال خالد بن عبد الله على منبر العراق ايها الناس عليكم بالمعروف فان فاعل المعروف لا يعدم جوائزه ومهما ضعف الناس عن ادائه قوي الله على جزائه وانكم لو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسناً جميلاً ولو رأيتم البخل رجلاً لرأيتموه ذميماً قبيحاً فاعادنا الله من البخل والكفر وانشد

من يفعل الخير لم يعدم جوائزه　　لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال آخر

ولم اركالمعروف امامذاقه　　فحلو واما وجهه فجميل

وقال يزيد بن المهلب لابنه لا تمل معروفاً واستكثر من الحمد فان الذم قل من ينجو منه وقال معاوية لابنه يزيد اتخذ المعروف عند ذوي الاحساب منالا تستميل به ودهم وتعظم به في اعينهم

وتكف به عاديتهم واياك والبخل فانه ضد البذل وقال عبد الله بن جعفر انما المعروف ما كان ابتدأ فأما ما تعطيه بعد المساءلة فذاك مكافأة او ليس رجل بات يتململ على فراشه يتقلب ظهرا لبطن يمثل بين اليائس والرجاء حتى اذا عزم على القصد لحاجته اليك جاءك وقلبه يرجف وفرائصه ترتعد حتى جرى دمه في وجهه ولا يدري أيرجع بكآبة الرد أم بسرور النجح فتعطيه سؤله والذي تجشم من المساءلة اعظم مما نال من عرفك وكان يقول اصطناع المعروف يدفع مصارع السوء وكل معروف صدقة وكان يقال لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره فانك اذا عجلته هنأت صاحبه واذا صغرته عظم عنده واذا سترته اتممته واذا حبسته سخفته ويكره كدره قال عبد الله بن ابي السبط لعبد الله بن طاهر

فتى لا يبالي المدلجون بنوره　　الى بابه ان لا تضيء الكواكب
له حاجب عن كل أمر يشينه　　وليس له عن طالب الخير حاجب

وقال آخر

بدا حين اثرى باخوانه　　ففلل عنهم شباة العدم
وعلله الحرص صرف الزمان　　فبادر بالعرف قبل الندم

وقال آخر

اذا ما اتاه السائلون توقدت　　عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له في ذوي الحاجات نعمى كأنها　　مواقع ماء المزن بالبلد القفر

وقال ابو العتاهية

جزى الله عنا صالحًا بوفائه | واضعف اضعافًا له في حياته
بلوت رجالاً بعده في اخائهم | فما ازددت الا رغبة في اخائه
خليل اذا ما جئت ابغيه عرفه | رجعت بما ابغي ووجهي بمائه

وقال دعبل بن علي الخزاعي

هو البحر من اي النواحي اتيته | فلجته المعروف والجود ساحله
كريم اذا ما جئت للخير طالبا | حباك بما تحوي عليه انامله
ولو لم تكن في كفه غير نفسه | لجاد بها فليتق الله سائله

واعلم (ادام الله عزك) ان ذكر المعروف وشرح كل ما طلبناه فيما قيل فيه طويل امده* كثير عدده* وفيما ذكرناه منه كفاية للاديب ومقنع للاريب* وانا انسق عليه ما قيل في الشكر واذكر من ذلك ما فيه كفاية * ومبلغ ونهاية* واختصره خوف الاكثار* وتجنب الاهذار* ان شاء الله تعالى

الباب الثالث والعشرون

﴿ فيما قيل في الشكر* ووجوب زوال النعمة بالكفر ﴾

قال ابو القاسم كان يقال من ألهم الشكر لن يعدم المزيد ووقع بعضهم في رقعة الى بعض عماله من كفر نعمة استوجب حرمان المزيد وقال الشاعر واحسن

وكم رأينا من ذوي نعمة | لم يأخذوا بالشكر افضالها
تاهوا على الناس باموالهم | وقفلوا بالبخل اقفالها
فزالت النعمة عنهم كما | ازال ريب الدهر مغتالها

لو شكروا الله لزادتهم مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لازيدنكم لكنما كفرهم غالها
والكفر للنعمة يدعو الى زوالها والشكر ابقى لها

وقال اخر

اذا ما امنحت الخير ثم كفرته فلست لرب الناس حقاً بشاكر

وقال اعرابي في عبد الله بن جعفر

وكل امرء يرجو نوال بن جعفر بحجبه باليمن والرشد طائره
سأشكر ما اوليتني يا ابن جعفر وما شاكر عرفا كمن هو كافره

وقال علي بن ابي طالب عليه السلام لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فان لك اجره وذكره ونشره وقد يشكرك عليه من يسمع به ويشكرك الشاكر ما ضيع الحاجة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال عبد الله بن جعفر ما سلف من اهل المعروف فانما يأتون في انفسهم ولا ينبغي لهم ان يطلبوا من احد شكر ما اتوه الى انفسهم وقد كان يقال من سعادة المرء ان يضع معروفه عند من يشكره ولا يزرعه الا حيث يزكوله وكان يقال اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال بعضهم ما عظمت نعمة الله على احد الا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة لزوالها وكان

يقال خمسة اشياء اضيع شيء في الدنيا سراج يوقد في الشمس* ومطر جيد في ارض سبخة*وامرأة تزف الى عنين*وطعام اجتهد فيه ثم قدم الى شبعان*ومعروف تصنعه الى من لا يشكرك عليه*وقال بعض الحكما من لم يعرف اقدار النعمة فحسبها حظوها من الشكر

وقال ابو تمام الطائي

لئن كفرتك ما اوليت من نعم　　اني لفي اللؤم اخطأ منك في الكرم
رددت رونق وجهي في صحيفته　　رد الصقال بهاء المرهف الخذم
وما ابالي وخير القول اصدقه　　حقنت لي ماء وجهي ام حقنت دمي

وقال اخر

وحملني من شكر فوق طاقتي　　فاصبحت من احسانه منقلاً عملا
فان رام شكري ان يخفف بعض ما　　عليّ له من نقله زادني تقلا
فياليتني اقوم على بعض شكره　　وان لم يدع لي ذاك مالاً ولا اهلا

وقال اخر

لا تحملن نفسك من حاجتي　　الا على ايسر مسا نقدر
يكون ما يعذر في وجهه　　والمرء لا يعدو الذي يعذر
شكرك موصول بعذري ولا　　يعذر الا رجل يشكر

وقال آخر

تعلم ابا عيسى ان ليس عن قلى　　ولا ملل كان ابتداؤك بالهجر
ولكنني لما رايتك زائرا　　فاشرفت في برى فاصعفت على الشكر
فان زرتنى برا تزيدت جفوة　　ولا نلتقي حتى القيامة في الحشر

وقال اخر

يا اعظم الناس عفوا عند مقدرة　　واظلم الناس عند الجود للـ

لو يصبح اليم يجري ملؤه ذهبا   لما اشرت الى حزن بمثقال
ان كنت منك على بال منتت به   فان شكرك من حمدي على بال

وقال اخر

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي   ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال آخر لمسلمة بن عبد الملك

ونبهت لي ذكري وما كنت خاملا   ولكن بعض الذكر انبه من بعض
شكرتك ان الشكر ضرب من التقى   وما كل من اوليته نعمة يقضي

وقد ذكرنا (اعزك الله) ما فيه كفاية للاديب * ومقنع للبيب * وانا اصله بذكر ماجاء في السؤال على حسب الاختصار * وترك الاهذار * ان شاء الله تعالى

الباب الرابع والعشرون

(ماجاء في السؤال * وبذل الوجه في طلب النوال)

قال دخل الكوثر بن ذفر على يزيد بن المهلب حين ولاه سليمان بن عبد الملك العراق فقال له والله انت اكبر قدرا من ان يستعان عليك الا بك واست تصنع من المعروف شيئا الا وهو اصغر منك وليس العجب من ان تفعل بل العجب من ان لا تفعل فقال له سل حاجتك قال حملت قومي عشر ديات وقد بهظني ذلك

قال قد امرت لك بها وشفعتها بمثلها قال الكوثر اما ماسالتك بوجهي فاقبله منك واما الذى ابتداتنى به فلا حاجة لي فيه قال ولمَ وقد كفيتك ذل السؤال قال رايت الذي اخذته منك بمسالتي اياك وبذل وجهي لك اكثر من معروفك عندي وكرهت الفضل لك علي قال يزيد وانا اسالك كما سألتني أسألك بحقك علي فيما اهلتني له من انزال الحاجة إلا قبلتها ففعل وقال الاصمعي لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه يابني لا تفقدن اخواني مني غير وجهي فاجروا عليهم ما كنت اجري عليهم واصنعوا بهم ما كنت اصنع واكفوهم موٌنة الطلب فان الرجل اذا طلب الحاجة ارتعدت فرائصه مخافة ان يرد عنها والله لرجل بات على فراشه يتململ راكم موضعاً لحاجته اعظم عليكم منة منكم عليه بما تعطونه وقال الشاعر

نسب السؤال فكان اعظم قيمة ... من كل عارفة اتت بسؤال
ترك السؤال اعز عزيمة ... ممن يضن عليك بالاموال

وقال آخر

ذل السؤال وذل الفقر ما اجتمعا ... الا اضرا بماء الوجه والبدن

وقال آخر

خير من البخل كل شيء ... والبخل خير من السؤال
قطع يدي دون ان اراها ... وقد علتها يد النوال

وقال اخر

بخلت وليس البخل مني سجية ... ولكن رأيت الفقر شر سبيل

لموت الفتى خير من الفقر للفتى ... وللموت خير من سؤال بخيل
ولا تسئلن من كان يسأل مرة ... فللموت خير من سؤال سؤول

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا ... لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... أشر من ذاك لذل السؤال

وقال آخر

ارى اقبح الاشياء حلة آمل ... كسته يد المامول حلة خائب
واحسن من نور يفتحه الندى ... بياض العطايا في سواد المطالب

وقال آخر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال
واذا ابتليت يبذل وجهك سائلا ... فابذله للمتكرم المفضال
ان الكريم اذا حباك بنيله ... اعطاكه سلسا بغير مطال

وقال آخر

ومساءلة اللئيم عليك عار ... وذلك حين تسأله عناء
وذو الكرم الكريم تراه سهلا ... طليق الوجه ليس به التواء

وقال آخر

صن عن الناس تعز منهم ابدا ... ماء ديباجك عن بذل السؤال
ليس شيء من نوال يبتغي ... قيمة للوجه من ذل السؤال

وقال اكتم بن اصبغي السؤال وان قل* ثمن لكل نوال وان جل* وانشد



وفتى خلا من ماله ومن المروءة غير خالي
اعطاك قبل سؤاله وكفاك مكروه السؤال
واذا بداك بموعد كان المقال مع الفعال
لله درك من فتى ما فيك من كرم الخصال

وقال مطرف بن عبد الله لرجل من جلسائه اذا كانت لك الي حاجة فاكتب اليّ في ورقة فاني اكره ان ارى ذل السؤال في وجهك او قال فاني اكرم وجهك عن ذل السؤال وقال جرير بن يزيد بن خالد سمعت المهلب يوصي ابنه عبد الملك فقال يا بني اياك والسرعة عند المسألة بنعم فان مخرجها سهل ومصدرها وعر واعلم ان لا وان قبحت فربما روّحت فان كنت من امر تسأله على قدر فاطمع ولا توجب فان علمت ان لا سبيل اليه فاعتذر ومن لم ينتفع بالعذر عنده فان نفسه ظلم قال وقدم رجل على ابي جعفر المنصور من بني مرة من اهل الشام فتكلم بكلام حسن اعجب منه ابو جعفر ومن حضره فقال له ابو جعفر سل حاجتك فقال يبقيك الله يا امير المؤمنين قال ويحك ما حاجتك فانه ليس كل ساعة يمكنك هذا ولا يؤمر به قال والله يا امير المؤمنين ما استقصر عمرك ولا اخاف بخلك ولا اغتنم مالك وان سؤالك لشرف وان عطاءك لزين وما بامرء بذل وجهه اليك نقص ولا شين فقال ابو جعفر يا ربيع اعطه مائة الف درهم ومثله*قال امية بن الصلت حيث يقول

عطاؤك زين لامرء ان حبوته بخير وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرء بذل وجهه ... اليك كما بعض السؤال يشين

ومما يؤكد هذا قول علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مسألة الرجل سلطانه كمسألة الرجل اباه لا يشينه ولا ينقصه وقال اسماء بن خارجة اذا اتنبه رجل من وسنته ففكر في حاجته فلم يقع حسن ظنه الا علي فمعروفه الي اعظم من معروفي اليه ومسه لدي اجزل من مسي لديه وقال جعفر بن محمد رضى الله عنه انه ليعرض للرجل الي حاجة فابادر بقضائها قبل ان يستغني عنها فاذا اتيتها لم اجد لها موضعاً وقال بعض الهاشميين لمعاوية اعطنا قبل ان نسألك فانك ان اعطيتنا بعد المسألة اخذت ثمن وجوهنا ولم نحمدك وقال عمرو بن العاص اذا لم اعط الرجل حتى انصبه للمسألة نصب العود فلم اعطه ثمن ما اخذت منه وقال اسماء بن خارجة انما يساءلني احد رجلين اما لئيم فافتدى عرضي منه او كريم فاعينه على زمانه وستر خلته وقال وحضرا بن السماك عند بعض الولاة وقد اتاه رجل فسأله حاجة فرده رداً عنيفا فقال له ابن السماك اصلحك الله انه لم يصن وجهه عن مسألتك فصن وجهك عن رده وقال حكيم بن حزام ما اصبحت ذا صباح فرأيت ببابي ذا حاجة فاقضيها الا كانت من المصائب التي اسأل الله الاجر عليها وكان خالد يقول قبح الله الحاجة اذا لم يكن ابتداؤها من المطلوب اليه فاما ان تمكث حتى يقوم صاحبها بين يديك وقد در عرقه وجرى دمه على وجهه فقبح الله ذلك

من معروف ونوال والله لرجل يتململ على فراشه يتردد في حاجته يطلب لها موضعاً الا ومنته عليك مثل منتك عليه وقال ذات يوم لرجل ما منعك ان تسألني فقال اذا سألتك اخذت ثمن معروفك فقال صدقت وانشد

ان امرءً ضن بمعروفه عندي لمبسوط به عذري
ما انا بالراغب في نيله ان كان لا يرغب في شكري

قال واتى رجل سعيد بن العاص يسأله فقال لغلامه اعطه خمس مائة فرجع الغلام مستفهما فقال خمسمائة دينار او خمسمائة درهم فقال ما اردت غير دراهم فاما اذا رجعت فصيرها دنانير فقعد الرجل يبكي فقال له سعيد ما يبكيك فقال ان الارض تاكل مثلك وقال ابن عباس رضى الله عنه اربعة لا يكافئهم عنى الا الله عز رجل فدحه امر فبات يتململ ليلته على فراشه ويروى بمن يستغيث فرآني موضعاً لحاجته فاصبح غادياً عليّ وكنت مفزعة ورجل غدا وراح زايراً يعفر رجليه بالتراب يرى صلتي ويري تعهدي واجباً عليه ورجل دخلت مجلساً محشواً باهله فنهض وجلست في مجلسه ورجل سقاني شربة ماء على ظماء وقال سعيد بن العاص ما ادري كيف اكافيء رجلاً يقسم ظنه فلا يقع حسن ظنه الا عليّ فاصبح يتخطى المجالس والاحياء حتى يكرمني ويؤنسني بحديثه ويراني موضعاً لحاجته واحسن عبيد الابرص حيث قال

وكل ذي غيبة يؤوب   وغائب الموت لا يؤوب
من يسال الناس يحرموه   وسائل الله لا يخيب

وقال آخر

امست عداتك في بحر من النكد   فليت انك لم تنم ولم تعد
اغدو عليك وقد ملأتني تعباً   ما يستفيق غروري من غد فغد
لاقرّب الله ما ارجوه منك لها   حتى يفرق بين السبت والاحد

وهذه ادام الله عزك جملة تفي بباب واحد وقد اخذت بحظها من الكتاب وانا اصلها اعزك الله بانجاز الحوائج واختصره ان شاء الله تعالى

الباب الخامس والعشرون

﴿ ما جاء في الحاجات * من ذوي الشرف والمروآت ﴾

قال ابو القاسم حدِّث عن الزبير بن بكار قال دخل ابو العتاهية على الرشيد فكلمه في حاجة له فامر مسرور الخادم بقضاء حاجته فابطأ عليه فكتب على ثلاث مراوح بابيات شعر وشدها وختمها واتى بها مسرورا فأوصلها الى الرشيد ففتحها فاذا على الاولى مكتوب   ولقد تنسمت النجاح لحاجتي   فاذا لها من راحتيك نسيم
وعلى الثانية   كلفت نفسي من رجائك ماله   عنق يخب اليك بي ورسيم
وعلى الثالثة   ولربما استيئست ثم اقول لا   ان الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد اقض حاجته واخبرني الغنوي قال اخبرني مصعب بن عبد الله قال سألت اسحق بن ابراهيم كلام المتوكل

في ارزاق لي فقال لكاتبه علي بن عيسى اثبت حاجة ابي عبد الله في الرقعة التي فيها حاجة فلان وفلان فكرهت ذلك فدخلت الديوان وكتبت اليه بيتين

تنجز حاجتي واشدد قواها   فقد اضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها برقاع قوم   اضربها مشاركة الرقاع

وامر بعض الخلفاء بعض وزرائه لبعض الشعراء بصله فابطأ بها عنه فكتب اليه

يامن يشير اليه الناس من كرم   مثل الهلال تجلى ليلة العيد
جد لي باطلاق ما جاد الامام به   فالجود جسم وانت الروح في الجود

(وكتب البحتري الى بعض اخوانه وقد وعده برذونا فمطله)

وعدت برذونًا ورددتني   اليك حتى قام برذوني
قد كان مصقولاً نواحيه اذ   اريته مستغرب الكون
لؤلؤة تضحك ارجاؤها   تصلح للبذلة والصون
ان تخلف الميعاد تظلم وان   توف فبرذونا ببرذون

(وكتب بعض الادباء الى صديق له وقد وعده فمطله)

بسطت لساني ثم امسكت نصفه   فنصف لساني بامتداحك منطلق
فان انت لم تنجز عداتي تركتني   وباقي لسان الشكر بالذم ينطق

وقال اخر

انجز الوعد لا تكن ذا مطال   فالقوافي جوارح الشعراء
ليس يعدو من سيد حل   كريم بمدح او سفلة بهجاء

وقال اخر

قد رحت اطلب امرًا انت تعرفه   وقد مزجت رجائي فيك بالياس
فاكسب بفضلك شكري انني رجل   قد سخرت للساني السن الناس

وقال اخر

اوجب وعدا وتناساه   وحقّ أن لم يتقاضاه
فقل له قال اخوك الذي   يصفي لك الود وترعاه
ما كنت اخشى الخلف من مو   عد توعده اكرمك الله
وان تقل كنت له ناسيا   فاذكر وما طال منساه

وقال اخر

تركي تقاضيك يقاضيكا   واللحظ من طرفي يكفيكا
اصبحت مطبوعا على سؤدد   اضحى له السؤدد مملوكا
كم لك في العالم من نعمة   اضحى بها الخلق مماليكا
يفحك صاف لامام الهدى   فداك بالرغم اعاديكا

وقال دعبل بن علي الخزاعي

داود انك من ذوي الاحساب   وندي يديك يفيض للمنتاب
طال الثواء بحاجة محبوسة   شمطت لديك فجد لها بخضاب

وقال اخر

اروح بتسليم عليك واغتدي   وحسبك بالتسليم مني تقاضيا
كفى بطلاب المال من لا يناله   غنا وباليأس المصرح ناهيا

وقال اخر

ابا العباس قد طال انتظاري   وبرح بي غدوى وابتكاري
فان تك قد ندمت على ضمان   فقدما منك طال له انتظاري
ففي التصريح لي يأس والا   فما في المطل وجه لاعتذاري
طمست محاسن المعروف حتى   كأنّ وجوهها طلبت تفاري

وقال اخر

يحتاج باغي النوال عندهم   الى ثلاث من غير تقريب

كنوز المقارون ان تكون له　　　وعمر نوح وصبر ايوب

اخر

ان جود الكريم يفسده المطـــل ويزري من فعله بالجميل
فانتظاري الى ايابك يحتا　　　ج الى غلة وعمر طويل

وقال اخر

ان الحوائج ربما ازرى بها　　　عنك الذي يقضي لها تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة　　　فاعلم بان تمامها تعجيلها

وقال محمد بن حازم

عقلت لساني بالمطال عن الشكر　　　واغفلت امري واتكلت على عذري
واسلمتني للدهر في دار غربة　　　فكنت حريا ان تعين على الدهر
فوال بخير او فمنع مبين　　　لامرى عذراً او اقيم على شكر
واني امرؤ رهن بعامين لازم　　　لباب امرئ لم يؤت من قلة الصبر
فجودك قوس والندى وتر لها　　　وسهمك سهم اليسر فارم بها فقري

وقال آخر

اذا كنت مطلوباً فسر لطالب　　　بحاجته كيما تهنى وتحمدا
كما انه لو كنت طالب حاجة　　　لسرك ان تقضي وان لا ترددا

تمت التحف والانوار * المنتخبات من البلاغات والاشعار *
الحمد لله على التمام * والصلاة والسلام على
محمد سيد الانام واله واصحابه
البررة الفخام

